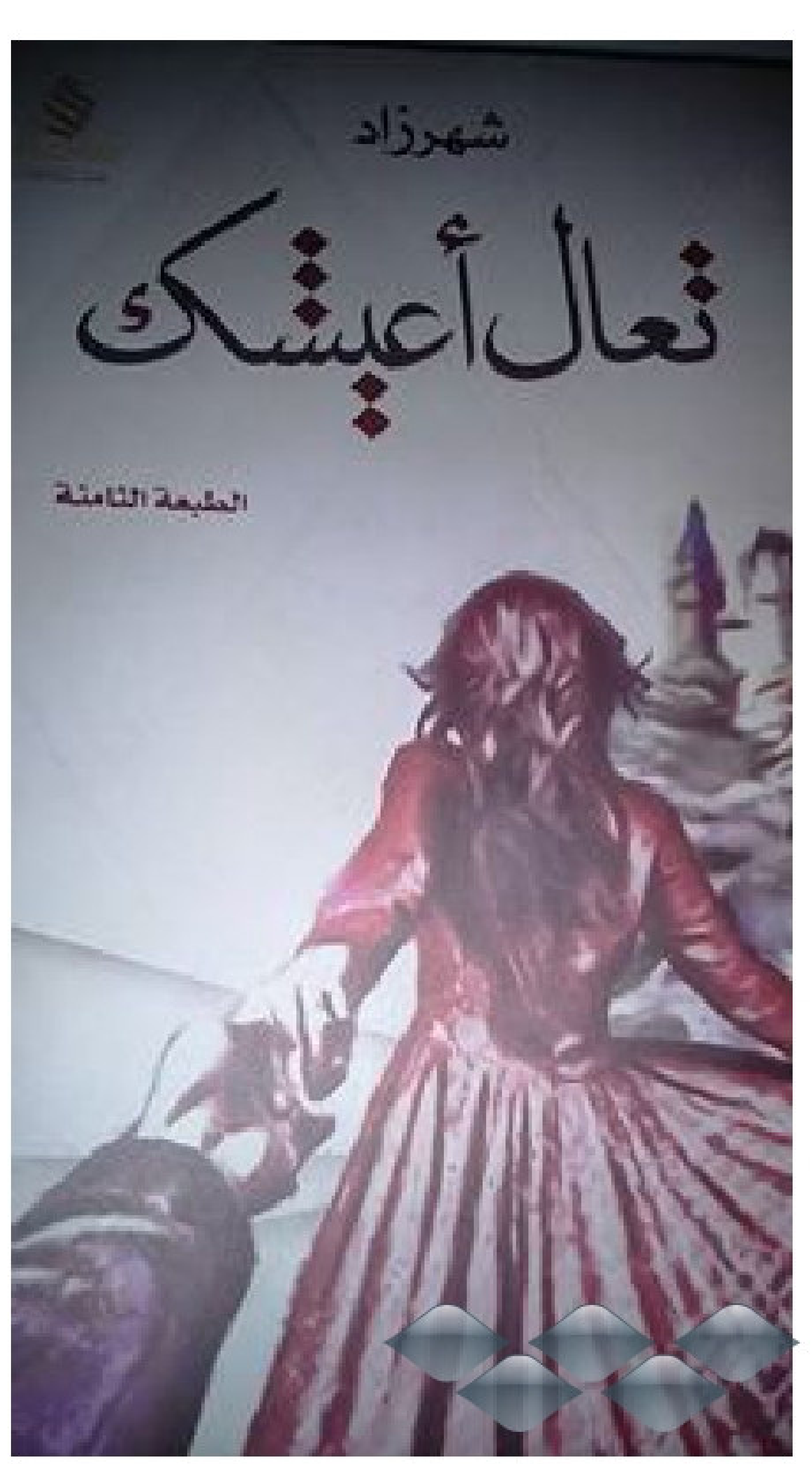

شهرزاد
تعال أعيشك
الطبعة الثامنة

مَدخَلْ

لأنه كتابي الأول . . فسأتنازل لكم عن صفحة الإهداء
سأتركها بيضاء كفضاء وطن آمن
تخلو من كل الكلمات والحروف إلا من . . . (إلى) و(مِن)
ليكتب كل منكم اسم من يود بعد (إلى)
واسمه بعد (من)
فاتركوا في فضاء الصفحة كلماتكم إليهم
فبعض الكلمات رسل محبة وسلام . .

شهرزاد



الإهداء ...

إلى :

من :

كيفك إنت ؟

(غنت فيروز (بعدك على بالي) فهزمتني
ووهنت أكذوبةُ النسيان وانحنت حتى كادت
تسيرُ على أربع)

فيروز غنت (كيفك إنتَ) فبعثرتني
وتحسستُ وجهَ الحنين إليك لأمسحَ دموعَه
وتحشرجَ السؤالُ الحاد في فمي حتى كدتُ أغصُ به
(كيفك إنت) ؟ آه يا أنت
كيف أمسى السؤالُ القريب كالغريبِ المصلوب بيننا
وكأن السؤالَ ما كان يوماً عادةً من عاداتنا اليومية
وكأني ما كنتُ يوماً لا أنامُ ولا أغفو
قبل أن أعرفَ (كيفك إنت)

فيروزُ غنت (شادي .. وينك رايح ياشادي؟) . . . وأرعبتني
فأنت كنتَ لهذا العمر ، كل أصدقائه ورفاقه

وحين انفرطتَ من عقد أحلامي

انفرطَت بعدَكَ كل الأحلام وتناثرت بعدكَ تفاصيلُ الحكاية

كحباتِ العقد أمامي

فشادي توارى خلف دخان القذائفِ والدنيا حرب

وكلُّ سفن الأيامِ التي استقرت في أيام السلم

لم يكن شادي على ظهرها

وأنتَ تواريتَ خلف غيومِ الأيام والدنيا صحوٌ

فهل السفن التي لم تأتِ بشادي ستأتي يوماً بكَ ؟

فيروزُ كبرت يا أنتَ وشادي لم يعد

وأنا كبرتُ فهل ستعود؟

فيروز غنت :

(وهديتني وردة فرجيتا لصحابي خبّيتا بكتابي زرعتا عالمخده)

وذكّرتني

بزمن الرسائلِ الورقية والهدايا الرمزية

يومَ كان لهدايا المحبين فرحةُ قلب نثرثر بها للصحبةِ أياماً وليالي

يومَ كان تكرارُ التفاصيل الجميلةِ فرحةً ما بعدها فرحة ..

ومتعةً ما بعدها متعة

يومَ كانت الدفاترُ لورودنا وطناً ومهداً وستراً

فكنا نضع الوردةَ في الدفاتر كي نحتفظَ بها

وحين تجفُ الوردةُ نحرصُ على البقايا من التناثر

كإرثِ عائلةٍ عريقةِ الجذور

فإذا ما جاء الفراقُ أمست الوردةُ صديقةً لصيقةً عند الحنين

فليس كل الهدايا بعد انتهاء الحكايات تنتقلُ إلى مرحلةِ الأطلال

فبعضها تتحولُ نحن أمامها إلى أطلال

وبعضها تبقى يا فيروزُ مستقيمة !

حادةً كشوكةٍ مغروسةٍ في أعينِ النسيان

فيروز غنت (بعدك على بالي) . . . وأربكتني

وكأنها أضاءت خلوتي في ركن النسيان

فتلفتُ حولي أُواري عن القوم عورةَ قلبي

فكم طرتُ بأجنحة النسيانِ في فضاء التبلُّد بعدَك

وكم غبتُ في أكاذيب النسيانِ أمامَهم

وكنت أنتَ أولَ من صدّق أكذوبتي وغيبوبتي

فالنسيان [illegible]ةٌ ضبا[illegible] اغماءةٌ لا نفيق منها إلا بهزةٍ قوية

كهرة صوتِ فيروز
فيروزُ الآتية بالحنين من زمن التفاصيلِ التي تغفو بنا مرهقةً من
شدة التكرار ولا تموت
فحين نكثرُ الحديثَ عن النسيان
فإننا نحاولُ أن نسردَ حكايةَ انتصارِنا على انكسارنا
والذي ينسى لا يهتم أبداً بإعلان النسيان كثيراً
والذي ينسى لا يكثرُ من سبابِ الأمس ولا يقذف التفاصيلَ
باللعنة
ولا يغتابُ الذكرى الجميلة
وما دمنا نهتمُ ونلعنُ ونغضب فنحن ما زلنا نتذكر وما زلنا نتألم
وما زلنا قيدَ حنين .

فيروزُ غنت :
(يا ريت . . يا ريت إنت وأنا بالبيت شي بيت أبعد بيت) . . .
فنسفَتني
ما من كلمةٍ رافقت قلبي ولساني في حكايتي معكَ ككلمة
(يا ليت)
حتى نبتت كلمة (يا ليت) كشوكةٍ في منتصف لساني

كلُّ الأحلامِ بك كانت تسبقُها كلمة (يا ليت)

كلُّ الأماني بكَ كانت تسبقها كلمة (يا ليت)

وكلُّ ولادةٍ جديدةٍ لطفلٍ دفترٍ منك كانت تسبقها كلمة (يا ليت)

وكلُّ نظرةٍ على فستانٍ أبيضَ كانت تسبقها كلمة (يا ليت)

وكلُّ رنةِ هاتفٍ في ليالي الفراق كانت تسبقها كلمة (يا ليت)

وكلُّ إضاءةٍ لـ رسالةٍ هاتفية في الظلمة كانت تسبقها كلمة (يا ليت)

وكلُّ تجوالٍ تحت المطر وعلى البحر كانت أيضاً تسبقه كلمة (ياليت)

آآآآآآآه لو تعلم !

كم مرةٍ ردّدتُ في حكايتي معك كلمة (يا ليت)

وكم مرةٍ خذلتني (يا ليت)؟

فبعض الكلماتِ تخرج من الصدور أمنيةً وتعود إلى الصدور طعنة

فيروزُ غنت (يا مرسال المراسيل) . . . فأبكتنني

فتلفّتُ حولي / قيودي كثيرة / وعراقيلي كثيرة / وأسوارُ ظروفك عالية

ونوافذُ سجني ملغّمة

وكلُّ مراسيلكَ إليّ خانت

وكُلُّ رسائلي إليك خانت

فلا مرسالَ بيني وبينك يحفظ السرَّ والأمانة !

وكأن هذا العالمَ ما اخترع يوماً صناديقَ الرسائل ولا طوابعَ البريد

ولا البرقيةَ ولا الفاكس ولا الإنترنت

فاختراعاتهم فشلت في نسف المسافةِ بيني وبينك !

والزاجلُ أمسى بيننا مقطوعَ الجناح

الزاجلُ أمسى بيننا مقطوعَ الجناح

فيروز غنت (خذني لبلادي) . . . وزلزلتني

فأنا المعلّقةُ بالروح بين وطني ووطنِك

أنا المصلوبةُ فوق خارطةِ الوطن العربي منذ الدرسِ الأول في حصةِ الجغرافيا

منذ أن صدّقتُ شرح المعلمة لتضاريس الوطنِ العربي الواحد

وجدتُ أني كلما حاولتُ جعلَ الأوطان وطناً واحداً تفرّعت

فلا التضاريسُ واحدة ولا العاداتُ واحدة ولا المصيرُ واحد

فمعلمةُ الجغرافيا خدَعتني كما خدعتْها معلمتُها كما خُدِعتْ معلمتُها

أكذوبةٌ دافئةٌ تناقلتها الأجيال

أن وطنَنا العربي واحد في كلّ شيء وخليجَنا العربي واحد في كل شيء

فصدّقت قلوبُنا الآمنة أهازيجَ الوحدة العربية

ونسجت قلوبُنا خيوط بيوتها على بوابة الوطنِ العربي بثقةٍ كبيرة

وإن أضعف الخيوطِ خيوطُ الأحلام !

فيروز غنت (طيري يا طيارة طيري . . . . . يا ورق وخيطان

بدي ارجع بنت صغيرة على سطح الجيران)

فأعادتني إلى الصفحةِ السابعةِ من كتاب حياتي

وامتلأ أنفُ حاضري برائحة الترابِ المبللِ بالمطر

وصوتُ جدتي يلاحقني بالوصايا

وأنا أخوض مياهَ الأمطار حافيةَ القدمين بكامل قوةِ طفولتي

لكني الآن أركضُ مع صوت فيروز بكامل وهني

أتسلقُ جدرانَ بيوت الحي القديم وأزيل غبارَ طائرتي الورقية

وأجدّدُ ما تبقى من خيوطها

وأنادي رفاقَ طفولتي اسماً اسماً :

يا فلان ،يا فلان ، يا فلاااااان

بُحَّ صوتي يا فيروز ولم يجبني سوى ريح الطرقاتِ الضيقة

والمنازلِ المهجورة

كيف صَغرت الطرقاتُ يا فيروز ؟!

وكيف كبر الرفاقُ على غفلةٍ مني ؟!

فيروز غنت : (ونطرتك ع بابي بليلة العيد) . . . فقتلتني

فأنا (نطرتك ع بابي) بكل الليالي

لا أنتَ مررتَني ولا العيد !

وأحببتُك في أول العمر فمنحتُك من السنواتِ أخضرَها

وأنضرَها

وغبتَ عني في آخر العمر فمنحتَني من الأيام أصفرَها وأوهنَها

فكانت الأيام تمرُّني مرورَ الأعداء اللئام

تأخذُ مني ما تأخذ وتدمّرُ بي ما تدمّر

وتنسفُ بي ما تنسف وتجلدُ بي ما تجلدِ

وتكسرُ بي ما تكسر

وتحني بي ما تحني وتقتلُ بي ما تقتل

وتغيّرُ بي ما تُغير

فالأيامُ حين تمر بعد الفراق لا تمرّ مرورَ الكرام
واللهِ ، لا تمرُّ الأيامُ بعد الفراق مرورَ الكرام .

فيروز غنت :
(بحكي عنك يا حبيبي لأهالي الحي
بتحكي عني يا حبيبي لنبعة المي) . . . فتسفّتني
لأنّ ثقات أهل الحي رحلوا منذ زمن
ومنابعَ الماء جفّت منذ زمن
فلمن سأحكي الآن حكايةَ العاقل الذي مرَّني بكامل جنونه ؟
ولمن ستُسردُ حكايةُ المجنونة التي مرَّتك بكامل عقلها؟
وافترقنا تحت رياحِ الواقع
وسمعتهم يتهامسون ونحن نرحل بشيءٍ أطلقوا عليه النصيب
فأوى كلانا إلى حلمٍ جديد يعصمُه من الغرق وأتقنَ في الحلمِ
الجديدِ دورَه
فلا أنا المجنونةُ بك ولا أنت العاقلُ بي
فـ لمن سنبوح الآن وكلُّ ما حولَنا أصبح مثقوباً وقابلاً للتسرب؟
كلُّ ما حولَنا أصبح مثقوباً وقابلاً للتسرب .

فيروز غنت (شو بيبقى من الرواية ؟شو بيبقى من الشجر) . . .

فكسرتني

لا شيءَ يبقى من الرواية ولا شيءَ يبقى من التفاصيلِ والشجر

فالحكاياتُ حين تكبرُ ستشيخُ وتشيب كالإنسان

وتنهارُ مدن الأحلام حين تنهار كاملةً

فقلوبُنا عند أمواج الفراقِ تستسلمُ للغرق

وأحلامُنا عند أمواج الفراق تستسلم للغرق

وأمانينا عند أمواج الفراق تستسلم للغرق

وأطفالُنا عند أمواج الفراق يستسلمون للغرق

لا أحدَ يتمسكُ عند طوفان الفراق العظيم بالقشة الأخيرة

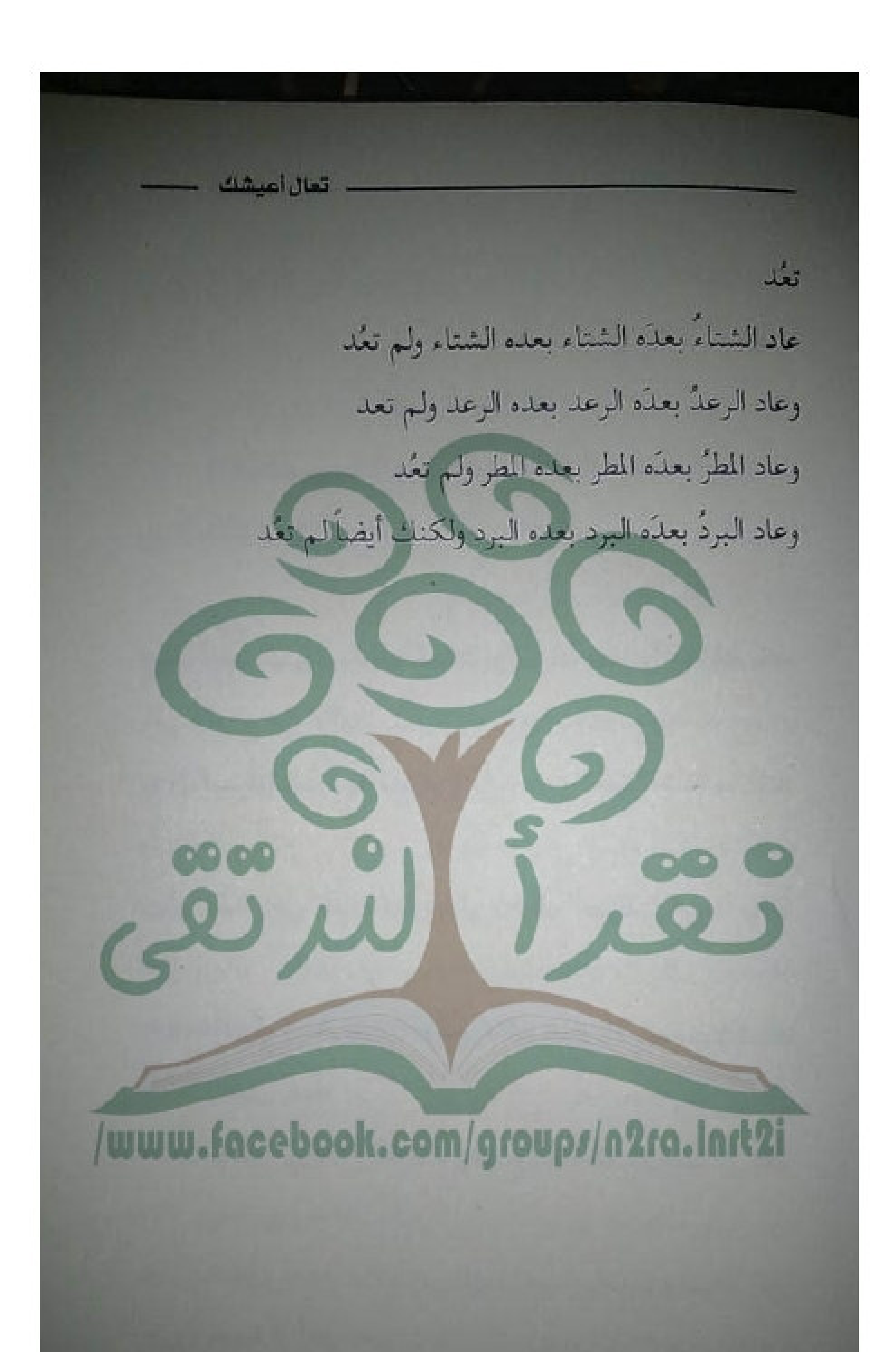
ولا أحدَ يتشبثُ عند النهاية بأطراف الصفحةِ الأخيرة من الرواية

ولا أحدَ يلجأُ إلى جبلٍ يعصمه من لعنة الفراق

فيروز غنت :

(رجعت الشتوية . . . . . ضل افتكر فيّ) . . . فألمتني

فالشتويةُ عادت بكل مقدماتِها وطقوسها وتفاصيلِها وأنت ولم



تعُد

عاد الشتاءُ بعدَه الشتاء بعده الشتاء ولم تعُد

وعاد الرعدُ بعدَه الرعد بعده الرعد ولم تعد

وعاد المطرُ بعدَه المطر بعده المطر ولم تعُد

وعاد البردُ بعدَه البرد بعده البرد ولكنك أيضاً لم تعُد

تعال أعيشك

(ناديتك يوما (تعال أعيشك) فعشتُ كلَّ

الأشياء إلا أنت)

تعال أربطُ عينيكَ بقطعة قماش وأمسكُ يدَك وأتجه بكَ نحو
باب الخروج مِن عالمِهم

تعال أسرقُكَ ليومٍ واحد ثم أقبّلُ جبينَ الحياة شاكرةً ممتنة
وأغادرها بسلام

تعال نتسلل من حدود الزمن على أطراف أصابعنا كي لا نوقظَ
أهلَ الزمان

تعال نمزقُ أوراقَنا الرسمية وصورَنا الشخصية ونفقد ذاكرتَنا
خلفنا ونمضي بعيداً

تعال نبصقُ في وجه الظروف ونصفعُ وجهَ الفراق ونحلّق نحو
الحلمِ عصفورين لا ثالثَ لنا

تعال نتحايل على الواقع ونشبك ذراعينا بإصرارٍ ونسافرُ إلى
جزيرةٍ بعيدة لا أحدَ معنا

تعال نصعد إلى القارب الخشبي ونبحرُ إلى جزيرةٍ لا تفتح أبوابَها إلا لقلبي وقلبك فقط

تعال نتجرّدُ من أحذيتنا ونجري فوق شاطئِ البحر بأقدامٍ حافية كطفلين ونردّدُ بلوعة : ليتنا لم نكبر

تعال أسير معكَ تحت القمر وأضع رأسي على كتفك وأغني لك أغنيتَك المفضلة بصوتٍ مجروح

تعال أجلس خلفك على ظهر الحصان ونستفزهُ بالسوط حتى يجمحَ بنا خارج حدود الزمان والمكان

تعال نعيد حكايةَ البدء ونسكن في الكوخ ونأكلُ من البحر ونكتشف النارَ ونستترُ بأوراق الشجر

تعال ننغمس في الأساطيرِ وأحداثها فأُراقصك كأميراتِ الحكايا وأترك لك فردةَ حذائي الذهبي عند الفجر

تعال نفتح كتابَ التاريخ ونختبئُ فيه ونختار حقبةً زمنيةً أخرى ونتسلل إلى عصرٍ آخر

تعال أفتحُ لك دفاتري وأعرّفك على أبنائي وبناتي منك وقصائدي الممنوعةِ بك وكتاباتي التي لم يقرأها قبلَك بشر

تعال أتجولُ معك في طرقات وطني وأعرّفه عليك وأهمس له : يا وطني هذا الرجلُ وطني .

تعال أعترف لك كم تمنيتُ أن أزورَ وطنَك متخفيةً برداءِ الليل

وظلمةِ الطريق كي أراك من بعيد

تعال أتتبّعُ لك خطوطَ كفك وأتنبأ لك مازحةً أن خطَّ الحياة

بينك وبين مجنونتك سيتوقف قريباً

وأن الروحَ التي أحبتك بجنونٍ على رحيل

تعال أقرأ لك فنجانَ قهوتِك وأردّد عليكَ ضاحكةً مخادعة

(بحياتكَ يا ولدي امرأةٌ عيناها سبحانَ المعبود) وأفتحُ عيني

أمامك بشقاوةِ طفلةٍ لأثبتَ لك أني أنثى فنجانك

تعال أقلّم لكَ أظافرَ يديك وقدميك بجنونِ عاشقةٍ فإذا ما

انتهيتُ وضعت قصاصاتِ أظفارك بيدي

وفتحتُ لكَ كفي وأخبرتك بفرح ألا شيءَ يعادلها لديَّ

تعال أمشط لك شعرك وأنت مغمضُ العينين وأعدُّ الشعيراتِ

البيضاءَ برأسِك وأبوحُ لك أنك حين تكبر سأحبُك أكثر .

تعال نلعبُ بالطائرات الورقية فإذا ما سرق الهواءُ طائرتي

افتعلتُ الزعل وجئتُك طفلةً غاضبة أبحث عن دلالك .

تعال نتجرد من تهذيب تربيتنا ونشوّه حضارةَ المدينة بقطعةِ

فحمٍ نكتبُ بها على الجدران اسمي واسمك وتاريخَ ميلادي

وميلادِك .

تعال نسيرُ في الأسواق أنتقي معك عطورَك وعودَك وبخورَك وأقمشة ثوبك ومقاس حذائك وألوانَ شماغك .

تعال وقِف أمامي حاسرَ الرأس ودعني أحققُ أمنيةَ عمري فأضعُ شماغَك على رأسك بفرحِ الدنيا

تعال ومُدّ لي يديك مغمضَ العينين بكسل طفلٍ مدللٍ ودعني أُغلق أزرارَ أكمامِك باهتمام أمّ بطفلها الأول .

تعال وافردْ أمامي ذراعيك ودعني أُغرقك بعطرِك المفضّل وأُحرق قطعَ العودِ تحت ردائِك وأبوح لك أن لا رجلَ بجاذبيتك أنت .

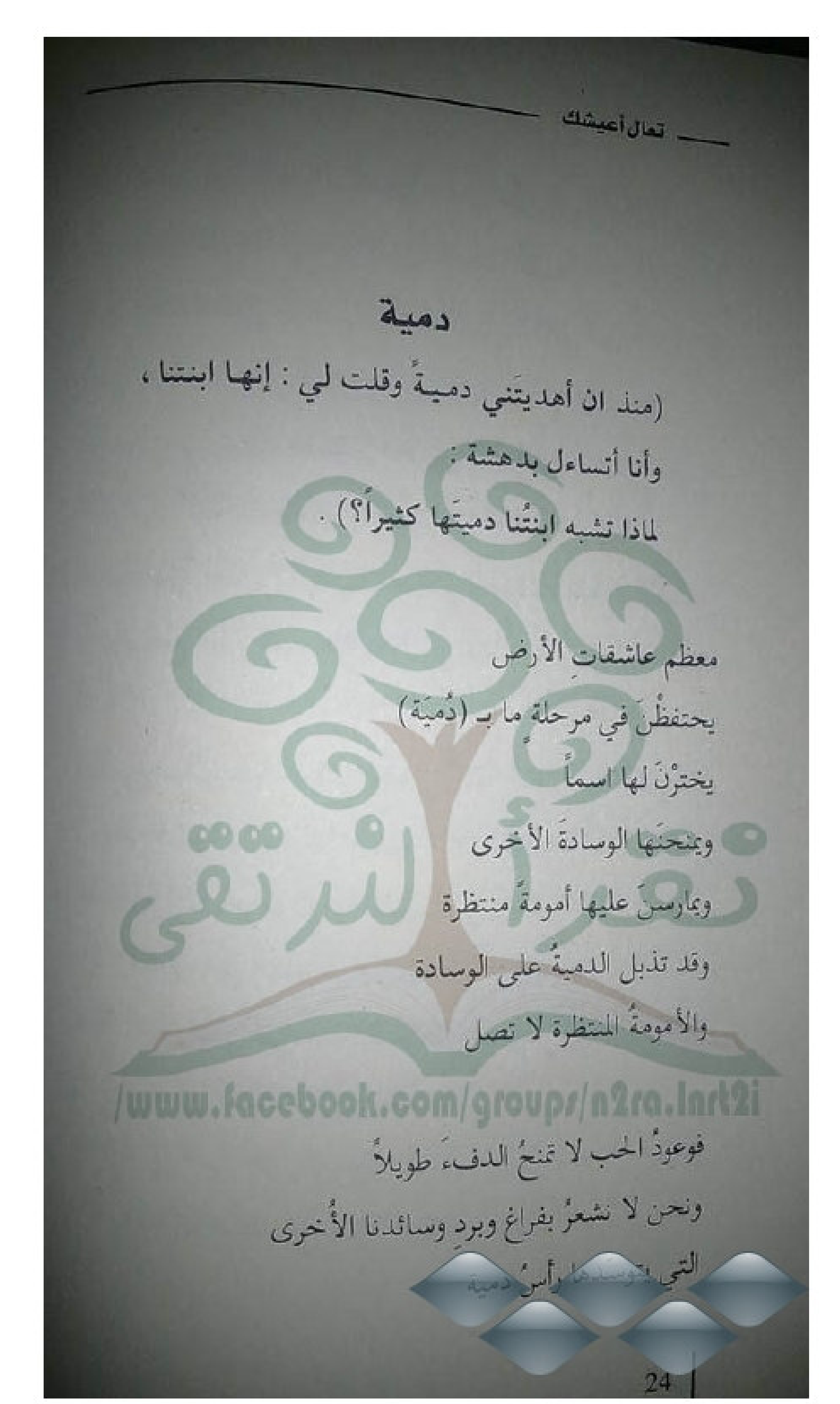
تعال وتوضأ للصلاة أمامي ودعني أقفُ خلفك أراقبك بحب وأمسكُ المنشفةَ بانتظارك لتجفيف ماء وضوئِك .

تعال أبوحُ لك بأمر موتٍ بدأ يقترب مني وأنتَ آخرُ من يعلم

تعال أعيشك قبل أن أعيشَ الموت فلا أمانَ للموت

تعال أضعُ رأسي على صدرك وأبكي بحريةٍ تشبهُ الحرقةَ وأصارحك كم تمنّيتك في زمن المستحيل

تعال أضعُ رأسي على صدرك وأبكي بحريةٍ تشبهُ الحرقةَ وأصارحك كم تمنّيتك في زمن المستحيل



دمية

(منذ ان أهديتَني دميةً وقلت لي : إنها ابنتنا ،

وأنا أتساءل بدهشة :

لماذا تشبه ابنتُنا دميتَها كثيراً؟) .

معظم عاشقاتِ الأرض

يحتفظْنَ في مرحلة ما بـ (دُمية)

يخترْنَ لها اسماً

ويمنحنَها الوسادةَ الأخرى

ويمارسْنَ عليها أمومةً منتظرة

وقد تذبل الدميةُ على الوسادة

والأمومةُ المنتظرة لا تصل

فوعودُ الحب لا تمنحُ الدفءَ طويلاً

ونحن لا نشعرُ بفراغ وبردِ وسائدنا الأُخرى

التي يتوسدها رأسُ دمية

إلا بعد أنْ يغادرَنا دفءُ الحب
فنتحسّس وسائدَنا بَحثاً عن بقايا عمر
وتصبح الرؤيةُ عندها أوضح
فضبابُ الحبِ لا يرافقنا كلَّ العمر

هكذا أخبروني وهكذا ظننت
لكن الضبابَ لم يغادر نوافذَ قلبي أبداً
ولم ألمح صورتَك بوضوحٍ يوماً
لهذا بقيت الصورةُ جميلةً
وبقيتَ أنتَ في ناظري شاباً برغم مرور السنوات
فكنت أنا أكبرُ في المرايا وأنت لا تكبر

وكان وجهكَ يراودني كثيراً كما يراودني الآن بإلحاح
فكنت أتفاءل بذلك كثيراً لأني آمنت بقول جدتي :
إن الوجوهَ التي تراودنا يأتي لنا الهدهدُ منها بنبأٍ عظيم
كنبأ بلقيس الذي سبق لسليمانَ بلقيساً
أو كريحِ يوسُفَ التي سبقت ليعقوبَ يوسُفا
لكني لم أرَ الهدهدَ يوماً على نوافذي

ولم ألمح على شباكي بعدك سوى البردَ والوحدةَ والشتاء
الشتاء الذي كان يزدادُ وهناً عاماً بعد عام

وها أنا ذا بعد عشرين عاماً من العمر
تراودني رغبةُ البوح لكَ بالكثير
فمن أيّ الصفحاتِ أبدأ بَوحي؟
وأيُّ الأوراقِ تحتمل سردَ تفاصيل عشرينَ عاماً؟
فهل أخبركَ عن دميتي القطنية التي أهديتَني إياها ذاتَ بدايةٍ حالمة
وأخبرتَني أنها ابنتُنا؟

كبرت دميتي يا سيدي
أصبح عمرها الآن عشرينَ عاماً وأكثر
أيرعبكَ الرقم؟ أنا ما عاد يرعبُني
فدميتي كبرت على غفلةٍ مني
ككل المتغيراتِ والأشياء التي حدثت لي بعدك
كانت على غفلةٍ مني
فلم يتدرّج بي شيءٌ
لا الحنينُ تدرّج ولا الفقدُ والنسيان

عشرونَ عاماً يا سيدي
وما زالت دميتي مهذبةً هادئة كما تركتَها تماماً
فهي لا تغادر مكانَها مهما تأخرتَ عليها
ولا تسكب اللبنَ الساخن فوق السَّجادِ الثمين
ولا تخلّف قطعَ اللُّعب خلفها
ولا تعترض على دخول دورة المياه
ولا تبكي لدخول صابون الاستحمامِ في عينيها .

عشرونَ عاماً يا سيدي
وما زالت ابنتُنا قطنية
لم تنبت أسنانها الأمامية ولا الخلفية ولا اللبنية
ولم تفاجئني بالنطقِ يوماً
ولم تزددْ كأبناء رفيقاتي طولاً
ولا كفتيات جيراني عرضاً لكن ملامحَها تغيرت كثيراً .
بهتَ لونُ شعرها
وتغيرَ قطنُ وجهِها
واهترأت حشوةُ جسدها
فالسنواتُ تنال حتى من الجماد

عشرون عاماً ياسيدي

وأنا أسهر الليلَ على تربية دميةٍ منك

فهل يحق لي بعد عشرينَ عاماً

أن أطالبَك بأوراق رسمية لدميتي القطنية؟

عاصفة العمر

(بعضُ العـواطف عـواصف . . إن لم تغلق في وجـهـهـا الأبوابَ والنوافـذ دمـرت كلَّ المدن الفاضلة بيننا)

أحكم إغلاقَ بوابة العمر ونوافذه

وعرِّ قلبك قبل أن يعرّيك

واعتبر عاطفتكَ تجاهي مولودةً أنثى بُشّرتَ في زمن الجاهلية بها

فواريتَ وجهك خجلاً من القوم من سوء ما بُشرتَ به

وتجنّبني كمرضٍ معدٍ أعجزَ أطباء العالم

جاهدني كوسوسة شيطانٍ رجيم

واغتسل مني كخطيئةٍ لا تزول إلا باستغفار متواصل

واستغفر اللهَ عليّ كذنبٍ عظيم لا تذيبه إلا رحمة الله

وضع يدَكَ على فم قلبك بقسوة حتى تخفتَ أنفاسي بك

واقبرني كأمنيةٍ لا يجب أن تسيرَ على الأرض يوماً

وأكمل للبقية طريقَك

أكمل للبقية طريقَك . . .

فالأرضُ تبتلع العشاق ولا تبتلع الطرق

وكل الحكايات ما دامت الحياةُ مستمرة تختمُ بكلمة (يتبع)

و(يتبع) هي الفرصةُ الأخرى التي تمنحها لنا الحياة

لإكمال الطريق الممتد أمامنا بعد طيّ حكايةٍ سابقة

فلا تجعلني آخرَ محطاتك وآخرَ طقوسك وآخرَ ذكرياتك وآخرَ

طرقك !

وإن شدّك الحنينُ يوماً إلى مواسمي

فارسمني على سحابة الصيف أمنيةَ مطرٍ في غير أوانهِ

ولوّح لي إن إستطعت مودّعاً

ولا تأمن لسحبِ الصيف كثيراً

فأمانينا التي تأتي محمولةً على سحب الصيفِ لا تعيد الحياةَ

للزرع ولا للأرض ولا للثمر

لذا لا يجب أن نؤمنَ بالمعجزات حدَّ الوهم

ولا يجب أن ندافعَ عن الوهم لدرجة ظلمِ اليقين

فالحياةُ ليست لعبةً كرتونيةً هشة

نلصق قطعَها ونشكّلها كما نحب ونشتهي

ولا العالمُ سبورةً سوداءَ نمسح خارطتَه ونغيرُ تضاريسَه بما يتوافق مع أمانينا

ولا النصيبُ علبةً مذهّبةً نختارها على أذواق قلوبنا

ولا هو بيتُ رملٍ نُشيّده بسهولةٍ على شاطىء البحر

ونتقاسم غرفَه وممراتِه وطرقاتِه وذكرياته

فنحن يا سيدي لن نصغر

والزمانُ لن يعودَ من أجلنا يوماً إلى الوراء

فالأزمنةُ لا تتوقف ولا تسير للخلف من أجل إعادة الصّبا لحلمٍ مسن

أو لأمنيةٍ شاخت على محطات الانتظار

فلا أنتَ ستعود ابنَ العشرين

ولا أنا سأعود ابنة الثامنةَ عشر

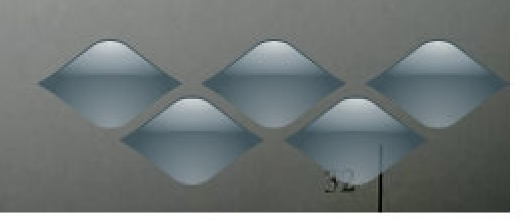
ولا الشعرُ الأبيض في ذقنك سيتلاشى بنبضة قلب

ولا الشعيراتُ البيضاء في ضفائري ستختفي بعصا الحب

فالأحلامُ التي تبلغ بنا من العمر عتياً لا تمت

لكنها تترك بنا من التعب والوهن الكثير
فالحياةُ لا تعترف بحق العشاق بفرصةٍ أُخرى على أرض أُخرى

هي تعيد التفاصيلَ والحكايات فقط
لكنها لا تعيد الأرواحَ والوجوه
فالحكايةُ تتكرر والأبطالُ يتغيرون
لهذا نحن لن نشهدَ بداياتِ الأشياء على الأرض
ولا سنعيد الاكتشافاتِ الأولى
فاتنا ميلادُ الكثير من الأشياء يا سيدي والكثيرِ من البدايات
فلن نشهد ميلادَ النار ولا ميلاد الشجر ولا ميلاد الطير ولا ميلاد المطر
فدهشةُ الميلاد وطيش المراهقة وثورةُ الشباب فطرةٌ لا تتكرر
وحقوقٌ لا تمنحها الحياةُ للإنسان مرة أخرى
فلا اسمُك سيملأ يوماً أوراقي الرسمية
ولا اسمي سيضاف يوماً إلى قائمة محارمِك
فالمحيطاتُ بكَ لا تشبهني والمحيطات بي لا تشبهك !



إذاً لنعبثْ بأزرار السرعة بنا ولنتوقف

فالأجسادُ الممددة على الطريق أمامنا أغلى من المضيّ عليها

فلا أنتَ تستطيع السير على أجساد أحبّهم إليكَ للوصول إلى

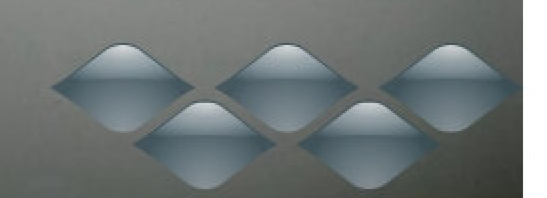
جزيرتي !

ولا أنا أستطيع القفز من على قاماتِ أوقرِهم لديّ لتسلّق سورك!

مأساتُنا يا سيدي أن السورَ الفاصل بيننا سورُ بشري

فلنحترمَ السور البشري

ولنخلعَ القبعات الحمراءَ أمام الإشارات الحمراء .



أجملُ العمر

(بربك أين كنتَ وركبُ العمر يمضي بي؟)

مضى أجملُ العمر يا سيدي وأكثره
فماذا سنجني من حدائق الأحلام في هذا العمر
ما حاجتُنا لسلة الأماني في حدائقَ أمست غابات
فلا العنبُ هو العنب ولا التفاحُ هو التفاح
ولا الرمانُ هو الرمان ولا الخوخُ هو الخوخ
فالثمارُ لا تبقى على الأغصان كما هي
والأغصانُ لا تحتفظ بثمارها الناضجة طويلاً
لأن كلَّ شيء في الإنسان يا سيدي آيلٌ للسقوط
والاحتضارُ آخرُ محطات المكابرة !

مضى أجملُ العمر يا سيدي
والعمرُ ليس حمامةَ بيت إن حلقت بعيداً أو رحلت تعود
فالعمرُ [illegible] لا يلتفت إلى الوراء مهما بُحّت أصواتُنا تناديه

فالعمرُ طريقٌ ذهاب واحد لا عودةَ له

ولا أحدَ سيلتفت للوراء ليلقي نظرةَ ألم علينا

نحن فقط من يلتفت إلى الوراء كلما حاصرنا الخذلانُ في الأمام

والخلف ويبقى في منطقة الحنين

ويتحول مع الأيام إلى دنيا شبيهةٍ بالحلم

لا نحلق فوقها إلا خيالاً !

ما أصعبَ اللعبةَ يا سيدي !

تأخر العمر بقلوبنا كثيراً

وخيم الظلامُ على أحلامنا والغابةُ موحشة

فأين كنت أنت؟

حين كنتُ أرتجف تحت أمطار الليل رعباً من الوحدة .

أين كنت أنت؟

حين كنتُ أحصي المتبقي من قطارات العمر مرحلةً تلو مرحلة .

أين كنت أنت؟

حين كنتُ أمزق روزنامة العمر ورقةً تلو الأخرى بانتظار رجل مختلف .

أين كنت أنت؟

حين كنتُ أصنع زوارقَ الورق وأرسلها على أمواج البحر إلى عزيز غائب .

أين كنت أنت؟

حين كنتُ ألقي في كل سنةٍ حلماً من أحلامي في فم البحر وأتنازل من أجل البقية عن الكثير .

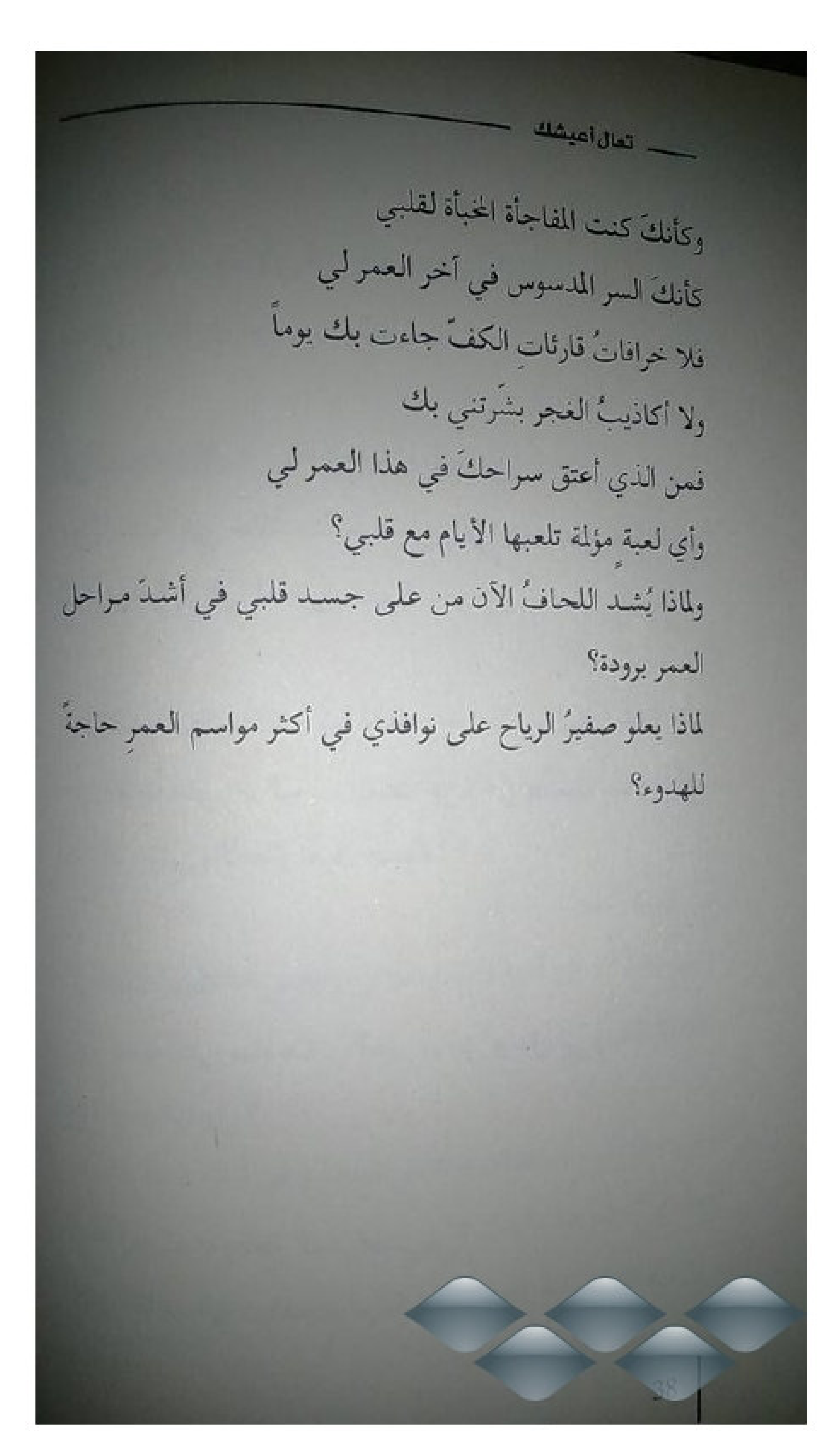
أين كنت أنت؟

حين كنتُ أُخبّئ الورد تحت وسادتي وأُوصي عاشقات الأرض بالحب خيراً .

أين كنت أنت؟

حين كنتُ أطهو الحجارة لقلبي ليغفو في ليلة عيد الحب وعشاقُ العالم يحتفلون؟





وكأنكَ كنت المفاجأة المخبأة لقلبي

كأنكَ السر المدسوس في آخر العمر لي

فلا خرافاتُ قارئاتِ الكفّ جاءت بك يوماً

ولا أكاذيبُ الغجر بشَرتني بك

فمن الذي أعتق سراحكَ في هذا العمر لي

وأي لعبةٍ مؤلمة تلعبها الأيام مع قلبي؟

ولماذا يُشد اللحافُ الآن من على جسد قلبي في أشدّ مراحل العمر برودة؟

لماذا يعلو صفيرُ الرياح على نوافذي في أكثر مواسم العمرِ حاجةً للهدوء؟

مراهقَتي

(مراهقتُنا المتأخرةُ رائعة . . . وكأنها عاطفةٌ تأتي

لتوقظ الموتى بنا . . وتعلن الحياة)

أتكون أنتَ مراهقتي المتأخرة ؟

ثورةُ البركان التي تعترض طريقَنا ونحن باتجاه مرحلة ما من العمر؟

مراهقتي التي لم تستيقظ وأنا على عتبة البلوغ

مراهقتي التي لم أُصافحها وأنا على المقاعد المدرسية

مراهقتي التي كانت وصايا أمي وجدتي أقوى مني ومنها

مراهقتي التي كنت أسترها وأستتر منها ادعاءً للنضج

مراهقتي التي بحثت عنها طويلاً بين أكوام الكتب والصحف والروايات

ولم أجدها ولم تجدني .

فعشت بين رفيقاتِ صباي كتمثالٍ من النضج . .

[illegible] المشاعر [illegible] !

وسمعت نسوةَ الحيِّ يوماً يتهامسن أمامي موقناتٍ

أنها يوماً ما ستأتي ..

ستطرق بابي في مرحلة من العمر

وقالوا ما لم يأتِ في مرحلة البلوغ يأتي في مرحلة النضج ..

وأن مراهقةَ النضج تختلف كثيراً

فمراهقةُ البلوغ بها من الأحلام والفرح والطّيش الكثير

بينما مراهقةُ النضج تكون كالبركانٌ الثائر !

واننا حين نصاب بها نحاول أن ننتهزَ كلَّ دقيقة لنا في الحياة

فتصبح دقائقُ الحياة أغلى

وكأننا اكتشفنا الحياةَ للمرة الأولى

وكأن كلَّ ما مضى من حكايات لم تكن سوى بروفاتٍ مكرّرة

من أجل الحكايةِ الأنضجِ والأقوى !

وسخرتُ يومها من قولهنَ حد الضحك

وتساءلتُ كيف لقلب يسير على ثلاث وهناً أن ينبضَ بقوة؟

وكيف للحب قدرة على بثّ الروح في جثة قلب متآكلةِ الأطراف؟

لكنِي اكتشفت الآن وبعد أن كبرت ،، وبعد أن ماتت عجائز القوم

أن تجربتهنّ كانت أعظم من سُخريتي

وأن عاطفةَ النضج هيِ عاصفةُ العمر . .

لها في النفس مكانةٌ مخيفة كأنها آخرُ الأبناء . .

كأنها آخرُ الفرص

كأنها آخرُ الأطواق

كأنها آخرُ اللحظاتِ على هذه الأرض

فمراهقتنا المتأخرةُ رائعة

كأنها عاطفةٌ تأتي لتوقظَ الميتَ بنا

لتمنحنا فرصةً للشعور بالحياة

لتذكرنا بالقلب والنّبض والسهر والشوق

لتقيسَ لنا مساحةَ المتبقي بنا من قُدرة على الجنون والحب بجنون

فنحن يا سيدي نحتاج للاعتراض أحياناً وبقوة

نحتاج للتمرّد

نحتاج لرفض أشياءَ قبلناها معظمَ العمر

نحتاج لتبديل أسطوانةٍ حرصنا العمر على الاستماع إليها

وترديدها

كأغنيةٍ من التراث !

وأنتَ جئتني في مرحلةٍ بدأ الهدوء يخيّم بها على أحلامي

وأحزاني

لهذا أحتاج كي أصلَكَ إلى الكثير من التمرّد

والكثيرِ من الرفض والكثير من العصيان والكثير من الطّيش

والكثير من الحماقة

والكثيرِ من السخافة والكثير من القسوةِ والكثير من الجنون

أحتاج كي أستقبلَك إلى تسلُّق الجبل العظيم

أحتاج إلى السباحة عكس التيار

أحتاج إلى السير على رأسي مائة عام

أحتاج إلى استئصال عقلي

أحتاج إلى فقدان الذاكرة

أحتاج إلى إحراق المدينةِ الفاضلة

أحتاج إلى استبدال القومِ والزمان والمكان

أحتاج إلى نسف الكثيرِ وتدمير الكثير

فأنتَ استيقظت متأخراً وتأخرت كثيراً !

أكثرُ من قدرتي على استقبالِك في عالمي

أكثرُ من قدرة العثور على ثغرة تسرّبكَ إلى دنياي

أكثر من تجاهل الوقت والعمر والعقل والظروف

تغيرت العملة في وقتي وقلبي وحلمي

فأنتَ لم تتأخر لسنواتٍ طويلة

أنتَ تأخرت عمراً بأكمله .

لا أبدَ معك

(أنت عـاشقٌ لا تملكُ أن تمنحَني في حكايتِك الأبد)

كلما ازددتُ بك يقظة

كلما أرعبني التفكير باحتماليةِ أن تكون صحوةَ الموت لقلبي لا أكثر

ففي صحوة الموت تعود الذاكرةُ والصحة للجسد عوداً قوياً لكنه مؤقت

فيخيّل إلينا أنَّ معجزةً ما قد عجّلت بالشفاء

ثم لا يلبث الموت أن يسلبَ بعدها كلَّ شيء

الروحُ والجسد والحضور

ويحلُّ الغياب على قلوبنا كلعنة سماويةٍ مفاجئة !

فنحن نتفاجأ في الموت دائماً

حتى لو كنا نقف بانتظاره

فرهبةُ الموت تفوق غرورَ التوقُع !

انظر كم أحببتُك؟

لدرجة مواساة نفسي بأنك لست سوى حالةٍ وهميةٍ مؤقتة

شبيهةٍ بحلم ليلي ينتظر إشراقةَ الشمس لإيقاظه

برغم يقيني أن معظمَ أحلامنا تستيقظ قبل شروق الشمس

لكننا نَذَرُّ على أحلامنا الكثيرَ من ملح الأوهام

والأحلامُ التي لا تصاحبها الأوهام تكون قصيرةَ المدى

فالأحلامُ بالأوهام أطولُ عمراً لأن الأيامَ علمتني هكذا

ولا يحمل زادَ الوهم في حقيبة أحلامِه سوى إنسانٌ يدرك

اتّساعَ الفجوة بينه وبين الواقع !

مما يجعل أحلامَه لحظيّةً . .

وأنا معك تحولت إلى أنثى اللحظة

ارتبط باليوم أكثر من ارتباطي بالغد

فقد كنتُ صديقةً وفيةً للغد يوماً لكن الغدَ خان ثقتي به

وغدر بي حين جاءني محملاً بالكثير إلا أحلامي !

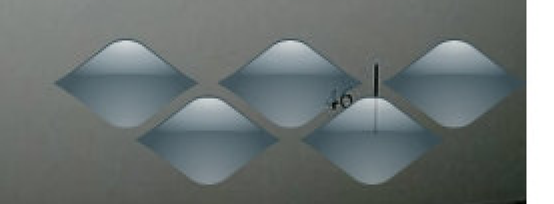
لاحِظ أني أحاول معك أن أبدو امرأةً أخرى . .

ربما لأن حقيقتي ترفضُك . .

والجزءُ الأكبر [illegible] الوهم [illegible] حب بك

فأتحول وبلا مقدماتٍ من أنثى العمر إلى أنثى اللحظة
فأَبغض الصكوك التي يتبادلها أطرافُ الحكاية أثناءَ الحكاية
وأكره الشعاراتِ التي يرفعها العشاق على محطات الفراق
(سأتذكرك إلى الأبد / سأحبك إلى الأبد / سأذكرك عند الغروب)
ووضعتُ الأكاذيبَ السابقة بين قوسين لأنها ليست من اختراعي
اخترعها عشاقُ العالَم قبلي
كما اخترعوا الوصايا الأُخرى
الوصايا التي أمست كطقوس لا بدَّ أن يمارسها كلُّ قادمٍ إلى عالم الحب !

وتضحكني سذاجةُ الوصيّة !
(لا تحب بعدي امرأةً أخرى وإن أحببتَها فلا تحبَها كما أحببتَني)
ما أغباها من وصيّة!
فما دمتَ قد أحببتَ بعدي فماذا تفرق الكمُّ والكيف ؟



أنعتُها بالأكاذيب الآن لأن لا أحدَ يحتفظ بالذكرى إلى الأبد
فالذكرى كالإنسان تماماً
كلما تقدّم بها العمر تهِنُ وتفقدُ من نضارتها وألوانها الكثير
لهذا لن أعدَكَ أن أحبَكَ إلى الأبد
فحبُ الأبد يحتاج إلى أبد
وأنتَ لا تملك أن تمنحَني في حكايتك الأبد !
لأن كلَّ ما تسرّبه لي منك مجرّدُ لحظاتٍ أو كلمات أو ابتسامات
أو تخمينات أو ومضاتٍ سريعةِ الانطفاء لا أكثرَ ولا أقل !

تباً لك ولي !
فمازلتُ أحاول أن أبدو معك امرأةً أخرى
أتظاهر بكراهية الوصايا التي أعشقها
فأنا أحب أن يذكرَني رجلٌ إلى الأبد
وأن يحبّني إلى الأبد وألا يحبَ بعدي امرأةً أُخرى !
لكنني أحاول أن أتجنبَ معك لدغةَ الغد قدرَ استطاعتي
فالغدُ سيتحوّل يوماً ما إلى ثعبانٍ سام
يلتف حول عنقي ليجرّدَني منك
ويتركَ في فراغاتِ قلبي من الذكرى والحنين ما يقتلُني وحدي !

لهذا أحاول أن أتخلّصَ من مصطلح الغد

وأن أتحوّلَ إلى أنثى اللحظة كي أمدَّ هذه الحكاية عمراً أطول

فاللحظاتُ العابرة أكثرُ قدرةً على مدّنا بالفرح

لأنها تغادرنا قبل أن نتذوقَ طعمَ مرارتها

بينما الحكاياتُ طويلةُ الأمدِ تمتصّ رحيقَنا تماماً !

ثم تلقي بنا على قارعةِ النّدم !

فقد أدركت متأخرةً جداً أن الحنينَ والذكرى ووعود ما قبل

الرحيل ليست سوى دماءٍ فاسدة

ننقلها لجثة الحكايةِ بعد موتها

في محاولةٍ واهمةٍ لإعادتها إلى الحياة !

بدأتُ أكرهُني !

لأنني بدأت أسفُني باسمِ الحب !

ولا يحق للحب أن يغيّرَ معتقداتِنا لهذه الدرجة

فالحكايةُ التي تبدأ مختومةً بالمستحيل

تبقى هزيلةً جداً مهما أكلت وشربَت منا

لأنها لا تأكل ولا تشرب منا إلا الهمَّ والحزن

وأنتَ حكايةٌ دوّنها المستحيل في أوراقه الرسمية

وأهداها لي في غير أوانِها مغلفةً بالسخرية !

ربما سخريةُ زمن

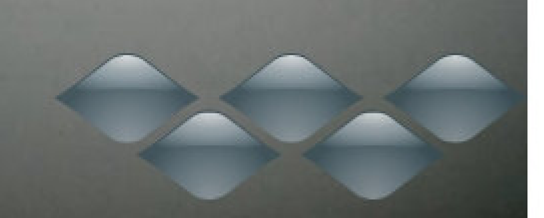
ربما سخريةُ مكان

ربما سخريةُ حظ

لكنها مضحكةٌ جداً لدرجة البكاء !

وعلى الرغمِ من ذلك تجــاهلتُ ألسنةَ الوقتِ والزمن والحظّ

وغرقتُ بك !



غرقتُ بكَ

(ها نحن ذا يا نزار نعـودُ منهم إلى طاولاتنا لا شيءَ معنا منهم ولا حتى كلمات)

نعم غرقتُ بك !

غرقتُ بك لأني رأيت بك معجزةَ زمن انقرضت منذ زمن

فحياةُ الحرية التي عشتُها جعلتني

أَحلم برجلٍ في شخصيةِ (أحمد عبدالجواد) في رائعةِ نجيب محفوظ

رجلٌ يرغـمني حبي له على مـقاومـةِ النومِ الذي قبل عنه: سلطانٌ جبار

رجلٌ يزرعني حُبّي له عند قدميه في ليالي وَهنه بالماءِ الدافئ والملح

رجلٌ يلاحقني باتصالاته عند خروجي من المنزل

للاطمئنانِ أني قيدُ وفاء !

رجلٌ لا يتسع وقتهُ لمناقشة حق المرأة في التسوقِ بلا هدف !

والسهرِ بلا ضرورة والسفرِ بلا حاجة !

لكن هذا الحلمَ ذاب كقطع السكّر في كأس الحياة

لم أفقد إيماني بالحلمِ الجميل !

لكني فقدتُ إيماني بوجود رجل يستحق أن تنحني له قامةُ امرأةٍ شامخة

لتمنحَ قدميه دفءَ واهتمامَ أُم !

ربما أكون أنثى متناقضة حين أحلم برجلٍ

مزيجُه من نزار وأحمد عبدِ الجواد !

لكنني أحببتُ في نزار رومانسيته وليس تحرّره !

وأحببتُ في أحمد عبدِ الجواد رجولتَهُ وليس جبروتَه !

ربما لأني فتحتُ عينيّ في أحضان رجل كان حضورُه يُربِك الرجال

ولهذا عشتُ عمري أبحث عن شخصية جدي في عالمِ الرجال

لدرجة أني كنت مهيأةً للوقوع في حب أيّ رجل

بمجرّد أن يطلقَ صرخةَ رجولتِه في وجهي

وليت نزار ما زال على قيدِ الحياة !

لأخبرَه أني وبعد سنوات طويلةٍ من قراءة قصيدتِه (شؤونٌ صغيرة)

أمسيت بطلةً لحكايةٍ شبيهةٍ بقصيدتِه

(فأمورٌ تراها أنتَ تافهةً وتمّر عليها مرورَ الكرام

لكنها تعني ليَ الكثير)

الكثيرَ الذي لا يقاس بمقدار ولا بكميّة القهوةُ المتبقيّة في قاع فنجانكِ

خطُك المرسوم على قُصاصاتِ الورق

عطرُك المتبقي في الطرقات

صوتُ سلامِكَ الصباحيّ على الأبواب ضحكتُكَ وارتباكُك أمامي

نضجُك معي . .

نضجُك الذي يمنعك أن تبوحَ لي بحبك

تماماً كما يمنعني غروري أن أبوحَ لك بحبي

لهذا فأنت ستكتفي يوماً بنضجِك وترحل

وسأكتفي أنا بغروري وأرحل . .



وربما لن يخطرَ في بالِك يوماً
أن الأنثى التي في نظرك أقوى امرأةٍ في العالم
حين تسمع صوتَك تتزلزل أرضُها تحتها وتهتز جبالُها حولها
وحين تقف بجانبك يتحوّلُ قلبُها إلى قطٍّ صغيرٍ مبللٍ بالماء
يرتعش بقوة!
ولا يشعر بقوة حركَته سواها !
ووالله وهَنُ الدنيا كلُه يتسرب إليَّ وأنا بجانبك
حياءُ نساء الأرض كلُه يرتسم على وجهي وأنا أتحدث معك
فأتصرّف بغباء كي أستترَ أمامَك
أتحدث بصوت مرتفع كي لا تكتشفَ أمرَ القطّ المبلل بين أضلعي !
أتحول إلى امرأةٍ جبارة حادّة التسلطِ وسليطةِ اللسان
كي لا أخسرَ آخر بطاقاتِ اللعبِ معك
وكي لا ينهارَ آخر جدرانِ المقاومة المتبقية بيني وبينك !
فربما أحببت أنت بي (المرأة القاسية)
أكثرَ من الأنثى التي بدأت تمزّق أكفانَها بي
وتصرّ على التّباهي بأنوثتها أمامَك!

نعم ، وهِنةٌ أنا أكثرُ من بيت العنكبوت !

فبعضُ الحكاياتِ كزوجةِ أبٍ

تمارس علينا من العذابِ والهوان والتشرد ما لا طاقةَ لنا به !

لهذا أحاول أن ينحصرَ خيالي بكَ في دائرة حضورِكَ أمامي

وأن لا يتجاوزَ إلى ما بعد رحيلِك

فلا شأنَ لي بعالمك الخاص وغرفِك المغلقة . .

لست امرأةً تافهة !

لكنّي أحاول أن أتجنبَ النّارَ والحزن والغيرة قدر استطاعتي

فجدتي قالت لي يوماً : (حين لا ترى العينُ لا يتعذب القلب)

لهذا أمنع العينَ رأفةً بالقلب !

ولا أعلم لماذا حين أراكَ أحياناً أُغمض عينيّ بقوةٍ

تجنباً من الوقوعِ في حفرةِ النار

كي أتجنبَ نارَكِ برغم يقيني أن كلَّ الذين وقعوا في النار

كانت أعينُهم مفتوحة!

فلا أحدَ يقع في النار بأعينٍ مغمضة

ربما لأنَّ قلوبَنا هي التي تتعرقل في الحب وليست أقدامُنا

وحدَها قلوبُنا تسقط فتتدحرج . . فتنكسر !



ضجيج

(الحب لايصنع المعجزات . . . أدركتها بعد انكسارات كثيرة)

كبرتُ معك أكثرَ مما يجب

ووَهنت معك أكثر مما يجب

وتحايلت معك أكثر مما يجب

وانكسرت معكَ أكثر مما يَجب

وتقدّمَ بي معكَ كلُّ شيء في العمر حتى الحزن

فها هو صوتُ صديقتي المقرّبة يصرخُ بي :

أنتِ مُتورطةٌ في حبه

وها أنا ذا أُنكر ورطتي بك

فبَعضُ الشعور ورطة

وبعضُ النكرانِ نجاة

وأؤمن تماماً بأنَّ الحبَ ليس بمعجزةٍ

ولا هو بصانعُ المعجزات

فهو يتكرر في اليوم آلافَ المرات . .

فالحبُ أوهَنُ من الدفاع عن حق قلبين في البقاءِ معاً

أضعفُ من توفيرِ وسادةٍ رسمية لعاشقين يحترقان شوقاً

ولو كان الحبُ صانعاً للمعجزات

لَما أطلقت حكاياتُ الحبِّ سراحَ أبطالِها بعد أن انغمسوا في تفاصيلها

ولما فصلت التصاقَهم بعد أن التحموا حباً كالجسدِ الواحد

وكلانا يعلم أنه يحملُ الآخرَ في جيب قلبهِ المثقوب

والجيوبُ المثقوبةُ لا تحتفظ بالممتلكاتِ طويلاً

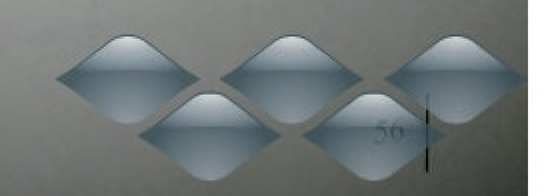
لهذا . . . فكلانا سيسقط يوماً من الآخرِ سهواً .

يوماً ما ستطلق الحكايةُ سراحَنا

بعد أن تهدينا طرقاً مختلفة ليمضي كلانا في طريقٍ معاكسٍ للآخر

فأحدُنا سيديرُ ظهرَه للآخر يوماً باختياره

دون أن يكثرَ التفكيرَ فيما بقيَ خلف ظهرِه من ركامِ إنسان !



لهذا أنا ألهثُ الآن خلف كل ثانيةٍ معك

أحاول انتهاز كلَّ فرصةٍ تمنحها الظروف لي كي أكونَ بجانبك .

فـ كالحلمِ أعيشكَ وكالحلمِ أتمسكُ بك

وأغمضُ عيني بقوة

وبي رغبةٌ مجنونةٌ بسرقةِ كلِّ منبهاتِ العالمِ وإلقائِها في البحر

كي أقضيَ على كلِّ رنينٍ قد يوقظني منك

وأحاولُ التخلصَ من كلِّ ضجيجٍ قد يحرمني منكَ

برغم يقيني أن منبهاتِ الحب ترِّنُ بلا توقيتٍ مسبقٍ أو متفقٍ عليه !

فـ لكُل شيءٍ نهاية

والموتُ النهايةُ العظمى لكل الأشياء

وفي حكاياتِ الحبِ الموتُ هو النهايةُ الأرقى برغمِ قسوتِها

والموتُ نهايةٌ لا أريدها مسكَ الختامِ لحكايتي معك

أو أقلّها ليس الآن !

لتتعرقلَ النهايةُ وليتأخرَ الفراقُ قليلاً . .لأكتفي منك ولو خيالاً

فما زال لكَ [illegible]عبتي الكثيرُ من الحبِّ



وأجهلُ أيّ قدرٍ مبصرٍ يأخذني إلى طريقِك . . يقودني كالعمياءِ

إليك

يجردني من حذائي ويلقي بي حافيةَ القدمينِ على طريقِك

الزّجاجيّ

وكلُّ ما بي يهتف عودي !

فكيف أعود الآن؟

وأنا أضعتُ منذ رأيتكَ خارطةَ طريقي . .

ممسوسةٌ بكَ

(كالممسوسةِ أنا بكَ أقرأُ آياتِ اللهِ على قلبي
كي أحرقَكَ بي)

كالممسوسةِ أنا بكَ!
أقرأ آياتِ اللهِ على قلبي كي أُحرقَكَ بي
فلا داخلي ولا خارجي يتسعُ إليك
وأخلّف حولي الكثيرَ وخلفي الكثيرَ وأتجهُ نحوَك
متجاهلةً كلَّ الأصواتِ
فلا طاقةَ لي بصوتٍ يوقظني منك ..

فـلتعلو صرخاتُهم فما عدت أسمع سوى رفرفةِ قلبي
وما عاد قلبي يتسعُ لوصاياهم
ولتنساني عقولُهم قليلاً قليلاً فقط
فعمرُ العقول أطولُ من عمر الأحلام
وسينتهي الحلمُ يوماً وستبقى عقولُهم ..

فدعك منهم واختبئ في أقصى مكانٍ في خيالي

تعمق بي حيث لا يَصلكَ منهم أحد

ودعني أمارسُ أمومةَ الحب معك

فلدي رغبةٌ لتدليلك كطفلي الأول

وتتجولُ لك في قلبي أمنياتٌ بيضاءُ لا تحصى!

أتمنى أن أمشطَ شَعرَكَ وأقلّمَ أظافرَكَ وأنتقي ملابسك

أتمنى أن أدلّلَ جبينَكَ وأن أسردَ عليك حكايةَ سندريلا قبل

النوم

وأتلاعبَ بأحداثِ القصة

فأخبركَ أن سندريلا لم تحضر حفلةَ الأمير

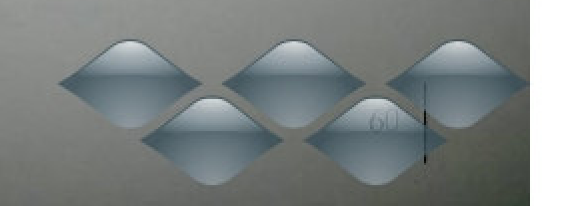
وأن الأميرَ لم يلتقط حذاءَ سندريلا

وأن سندريلا التقَت بالأمير في مكانٍ آخَرَ

أكثرُ هدوءاً من الحفلة

وأن ملامحَ الأمير شبيهةٌ بملامحِكَ

وأن أحزانَ سندريلا شبيهةٌ بأحزاني!



نعم أحزانُ سندريلا شبيهةٌ بأحزاني

لكن لا زوجةَ أبٍ لي تلقي عليَّ الفائضَ من قديمِ الثياب

والبائتَ من فضلاتِ الطعام

ولا زوجةَ أبٍ تمنعني من حضور حفلةِ الأمير

فزوجةُ الأبِ الوحيدة في حكايتي معكَ هو التوقيت

التوقيتُ الذي جاء بك في غير أوانِك

فألقى على قلبي قديمَ الثياب وقديمَ المشاعر وقديمَ الأحلام

ومنعني من الاحتفالِ بفرحة قدومِك . .

أتراني أحتاجُ إلى معجزةٍ كمعجزة ساحرةِ سندريلا ؟

أتراني أحتاجُ إلى عصا سحرية تمسح لمستُها كلَّ تاريخِك وتاريخي

تضعنا في منتصف صفحةٍ بيضاء

صفحةٌ نبدأها منذ السطر الأوّل .

يا الله ، كم سنةٍ نحتاج أن نسيرَ بها إلى الوراء حتى نصل إلى السَطر الأول؟

كم سنة نحتاج لمسح تفاصيل الزمن منك ومني . .

الوجوهُ والأصوات والأحداث ..
وأمُ الذكرياتِ التي مرّت بنا وحولنا
فأجبني بربّك أين تباع المعجزات؟

ما زلتُ أتحدث عن المعجزات
وأؤمن بها بقوةِ إيماني بوجودِكَ داخلي
فكل مأساتي أني صدّقتُهم بأن الحبَّ يصنع المعجزات
ومنذ أن أحببتُك وأنا أحاول أن أصنعَ معجزةً
منذ أن أحببتُك وأنا أحاول أن أجمعَ الثلجَ بالنار دون فقدانِ أحدهما
منذ أن أحببتُك وأنا أحاول أن أجمعَ الشمسَ بالقمر دون إحداثِ خللٍ في الكون
منذ أن أحببتُك وأنا أحاول أن أقنعَ نفسي أنّ تغييرَ لون الماء وطعمه ورائحتِه ليس دليلُ فسادِه !

انظر . . .بدأتُ أقتربُ من حالةِ هذيانٍ مؤلم !
وبدأت الثرثرةُ بك تُعرّيني أمامَهم
لا بأسَ وليكن ..
فما دامت مشاعري مجهولةً لك

فأنا أكثرُ قدرةً على التحدثِ أمامَك بلا تلعثم

وبالمرور على بابِك بلا أسباب

فالمشاعرُ المكشوفةُ تُعيقنا عن الكثير

وتحرمنا من الكثير

ربما كنتُ أنا أكثرُ خبثاً منك وأتقن أداءَ الدور أمامَك

فالأنثى أسرعُ في كشف مشاعرِ رجلٍ مغطاةٍ بحديد

وأقدرُ على قراءةِ لغةِ عينيه

بينما الرجالُ أقلُ قدرةً على سماع ما لا تنطقه الألسنُ

وفي عينيكَ نظرةٌ لم أقرأها في عينِ رجلٍ آخَر

ليس للرغبة والجوع في نظرتِك أثر

ربما الرغبةُ مرحلةٌ تتبع الحبَّ

أو مرحلةٌ من اختراعِ عشاقٍ تسبق حاجاتُ الجسد لديهم

حاجاتِ الروح !

سيدي

بدأتُ أسمع لهاثَ قلبي

وبدأ التعبُ يتسلل إليَّ أكثرَ مما تتخيل ويتخيلون

وبدأ يرعبني أنكَ قد تكونَ مجردَ فكرة لمقال وجدانيّ

تنتهي بميلادِ النقطةِ الأخيرة

عفواً أنا لا أُتقهُ من حجمِك بي

أنا فقط أعيد ترميمَ شروخِ جدران الأماني

فكلانا لجأ الى عالمِه المفضّل له

أنتَ لجأت إلى الصمت

وأنا لجأتُ إلى الكتابة !

وربما عشتَ أنت طقوسَك معي في صمتِك

كما عشت أنا طقوسي معك على الأوراق

ربما كتبتَ لي رسالتَك الأولى في صمتِك

ربما شاركتني فرحةَ اللقاءِ الأول في صمتِك

ربما تزوجتَني وراقصتَني في صمتِك

ربما رزقتَ بأول أبنائِك مني في صمتِك

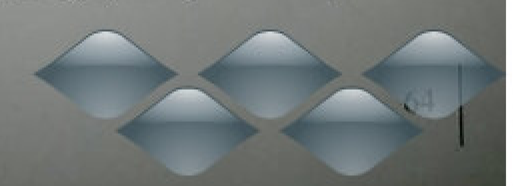
فالصمت كان عالمَكَ الذي عشتني به

تماماً كما كانت الكتابةُ عالمِي الذي عشتُكَ به

وقد تتحول هذه المشاعرُ يوماً إلى رواية حبٍ

وقد تقع الروايةُ بين يديكَ يوماً

فتقرأ وتبكي دون أن تدركَ أن بطلَها كان أنت !



متاهة

(أيتغذى الحبُ علينا؟ أيأكل الحبُّ من أجسادِنا ولحومِنا؟ لهذا نفقدُ من صحّتِنا في الحب الكثير)

يا الله!

كيف تحولت حكايتُك إلى دائرةٍ مغلقة

وكيف ضاقت الدائرةُ عليّ؟

فأمست كلعبةِ المتاهة متعددةِ الطُرق

وطريقٌ واحدٌ فقط يؤدي إلى الخروج

أصبحتُ أتجوّل في الدائرةِ بحثاً عن فتحةِ الخروج

لكنني كلّما تتبّعتُ الأسهمَ يصطدم قلبي بجدارٍ ينبئني بأني أسير على الطريقِ الخطأ

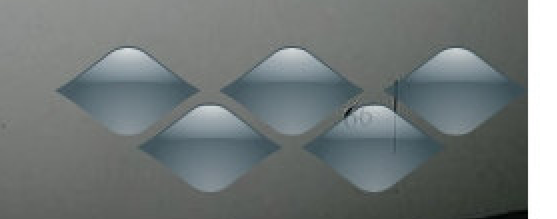
ربما أحتاجُ للجلوس قليلاً لالتقاطِ أنفاس قلبي

فبعضُ المشاعر تسرقُ من أنفاسِنا الكثير

ربما أحتاجُ لتجديدِ جلد أقدامي

فلا أعلم لماذا كلّما خطوتُ نحوك خيّل لي أني أسيرُ على أقدامٍ
باطنُها دامٍ متآكل
لهذا أنا أحتاجُ للتركيز في الطُرق التي أمامي
كي لا أخطئَ طريقَ الخروج من حكايتِك
فما عادت صحّتي تحتملُ إرهاقَ إعادةِ الطرق . .
أو تجربةَ الطرق للوصول إلى الطريقِ الصحيح . .

فأنا وَهنتُ كثيراً
وفقدت من مناعتي معكَ الكثير وأمست أمورٌ كثيرةٌ قادرةً على
إصابتي بالمرض
فغيابُك يمرضني / والشوقُ إليك يمرضني /وافتقادُك يُمرضني!
وعمقُ التفكيرِ بكَ يُمرضني / وكتمانُ مشاعري يمرضني
وتحليلُ المواقفِ يُمرضني / وانتظارُ الوارد منك يمرضني
وتناقضُ المواقفِ منك يُمرضني
حتى أدركتُ وأنا على فراشِ المرض . .
أنَّ للعشقِ حمى ظننتُها انقرضت منذ أن مات بها آخرُ عشاقِ
الزمنِ القديم !



لكن منذ أن اكتشفتُك في داخلي والحمّى تداهمني

وكأنكَ مرضٌ عضويٌ يفقدني مناعتي

كأنك الملاريا أو كأنك مرضُ تدميرِ الخلايا

أو كأنك الطّاعونُ الذي مضى بقبائلَ وأمم !

ترى؟

أيتغذى الحبُ علينا؟

أيأكلُ الحبُ من صحّتنا وأجسادِنا ولحومِنا؟

لهذا نحن نفقدُ عند الحب الكثيرَ من صحتّنا والكثيرَ من أوزاننا

أيُعقل أن يصيبَنا الحبُ بمرضٍ عضوي يُرقدنا الفراش؟

فأنا بي نحوكَ من نهَمِ العشقِ ما قد يُرقدني في فراشي أشهراً طويلة

فهل سأغيبُ عن الوعي وأدخلُ غيبوبتَك قريباً؟

هل سيعلنُ أبي في البلادِ عن حاجتهِ لطبيبٍ يعيدُ الوعيَ لأميرته

التي سافرت في غيبوبتِها بحثاً عن ابنِ الخطّاب؟

وهل سيضغطُ الطبيبُ على نبضي بقوةٍ كما في الحكاياتِ القديمة

وهو يردّدُ أسماءَ فرسانِ القبيلةِ اسماً اسماً؟

فإذا ما ذُكر اسمَك عاد النبضُ إليّ

وإن عاد النبضُ وعادت مع النبض الحياةُ لي فمن سيخرجُ مني

التفاحةَ المسمومة

التي نبتت على أغصانِ قلبي؟

من أين لي بسبعةِ أقزامٍ يرمون حياتي ويحمون ظهري من غدرِ

الطريق؟

وأنثى تلاحقني بتفاحتِها المسمومة كلّما صرخت بها مرآتُها :

أني الأجملُ منها في المدينة !

لا أبالغُ يا سيدي

لكن عندما نمارسُ الصمتَ في قمة حاجتِنا للبوح

فنحن بطريقةٍ ما نكون كالذي يحفرُ للثعبانِ في داخله جُحراً

فالصمتُ حينَ يعتّقُ في داخلنا ويتحوّلُ إلى ثعبانٍ سامٍ يلتف

حول أعناقنا

ويتركنا عرضةً للاختناق بأحزانٍ داخلية

فبعضُ الأحزانِ نحتفظُ بها في غرفٍ داخلية

وأنتَ حزنٌ داخليّ ..



توقفتُ عن الثرثرة بكَ للمقربين حين تحولتَ إلى حقيقةٍ مرّةٍ في أعماقي !

وحاولتُ الاحتفاظَ بك في أقصى غرفةٍ داخليةٍ بي
لكني لم أتوقع أن تتحولَ هذه الغرفةُ يوماً إلى بحيرةٍ من السّم يغلي سُمُّها
فيتسرّب منها بخارُ السُم ليوهِنَ جسدي يوماً بعد يوم
لتموتَ الروحُ والجسدُ باقٍ كتجويف غصنِ شَجرةٍ قديمة
يمارسُ حياتَه بينهم على هيئةِ بشر
فما أكثرَ الأشجارَ المجوّفة بيننا !
وأنا الآن أمارسُ حياتي بينهم على هيئةِ بشر
لكن في داخلي إحساسٌ أني مجرّدُ تجويفٍ لغصنٍ ما
لهذا أتمنى أحياناً أن أغادرَ جسدي
أن أتحولَ إلى روحٍ مؤمنةٍ
فالأرواحُ المؤمنةُ يحقُ لها بعد أن تغادرَ الأجسادَ
أن تتجولَ في الأرض وتزورَ من تحب من الأحياءِ
وأنا أحبك كثيراً !
أحبك لدرجة تمني مغادرةِ جسدٍ تفصلهُ عنك المسافاتُ

والتحولِ إلى روحٍ تقترب منك متى شاءت

روحٌ تلتصق بك

تحلقُ بجانبِك وأنت تتناولُ طعامَك

تختبئُ في غطاء فراشِك

تغفو على وسادتِك الأُخرى

تشمُّ رائحتَك

وتشهدُ تفاصيلَ يومك كاملةً

لا تثق بجرأتي على الأوراقِ كثيراً

فعلى الأوراقِ فقط أكون في كاملِ قدرتي على البوح

فأنا أتصلّبُ على مقعدي كصنمٍ جاهليٍ كلما شممتُ عطرَك

يتسرّب من خلف الأبوابِ إليّ

فوتقيدني الكرامةُ بسلاسلَ من حديد . .

فالشيءُ الوحيدُ الذي لا يجرؤُ قلبي على تفادي قوتِهِ هو كرامتي

فكرامتي كالأم لقلبي تهذبُه وتحسن تربيتَه

كي لا يلحقَ بك فيتشبثُ بطرفِ ثوبِك

فالقلوبُ عند الحب نقيةٌ وشقيةٌ كالأطفال تماماً

لا تحسبُ للعواقبِ حساباً !

الأحلامُ لا تنتظرُنا

(استيقظتُ منك بلا رنينٍ فحتى حلمي بك لم ينتظرني)

أظنني قد اقتربتُ أخيراً من باب الخروجِ من كهفِ حكايتِك
فبعضُ النور بدأ يتسلّل إليّ
وأظنُني على بُعدِ خطواتٍ قليلة من المحطةِ الأخيرة
فالآن أقف فوق آخر بقعةِ أرضٍ يحق لي الوقوفُ عليها معك
إنها بقعةُ الختام . .
وكأنّي أستيقظ الآن من حلم ليلةٍ طويل
حلمٌ امتدّ بي من مساماتِ الرأس حتى مسامات القدم !
فأحلامُنا هي التي تمتدُّ بنا وليست الليالي
وبعضُ الأحلامِ ليلةٌ وبعضُ الليالي حلم . .

فهاأنذا . .
التفتُ حولي أتلّمس جفافَ الأشياء بجانبي

لأكتشفَ خديعةَ الشتاء ووهمَ البردِ والمطر

فالسماءُ لم تكن تمطر

والشتاءُ لم يكن فارساً سوى في حكايتِك

في الحلمِ عشتُ معكَ حكايةً شتائيةَ الطقوس

فمنذ قليلٍ كان المطرُ في الحلمِ يبللُني

وكنتُ ألجأ إلى الاختباء تحت معطفِك وأنا أغنّي مع فيروز من

بين ارتعاش الشفاهِ واصطكاكِ الأسنان

(أديش كان في ناس عالمفرق تنطر ناس . . . وتشتّي الدني . . .

ويحملوا شمسيّة وأنا بأيام الصحو ما حدا نطرني)

وكما ترى ،

حتى حلمي بك لم ينتظرني

غادر الحلمُ وأنا في كاملِ عاطفتي وحاجتي وزينتي لحكايتِك

وكأنَّ حكايتَك غفوةُ نائمٍ وحلمُ شتاءٍ فاخر

حلمٌ راقصتُ فيه الأميرَ حتى الصباح

حلمٌ لاعبتُ به سبعةَ أقزام طيبين

حلمٌ تزوجتُ به ابنَ السلطانِ في حفلٍ أسطوري

حلمٌ غنّى لي به روميو تحت شرفتي دقائقَ من العمر

حلمٌ مرّ به قيس على بابي وقبّل ترابي وجدراني وجدرانَ

جدراني

حلمٌ انتصرَ به عنترة على فرسانِ القبائل كي يفوزَ بي

وهأنذا أفتح عيني بلا قبلةِ حياةٍ من أمير تسحب السمَّ من

جسدي !

فأنا لم أكن مسمومةً بك

أنا كنتُ محمومةً بك !



ورق

(أسير بعدك في زحامِهم مكتوفةَ الأيدي كي لا
يلمحوا حجمَ الكسر في جناحي)

فالرجلُ الذي سأودّعه هذه المرة خارجَ الورق
والدموعُ التي سأبكيها خلفه خارج الورق
واليمينُ التي سترتفعُ له مودعةً خارج الورق
والوسادةُ التي سأبللها بدموعي خارج الورق
والضلعُ الذي سينكسر بي خارجَ الورق
وأمي التي سأفرّ من إحساس قلبها بحزني خارجَ الورق
ورفاقي الذين سأستر عن أعينهم آثارَ البكاء والسهر خارج الورق
وعذاباتُ الورق تختلف لأنها تنتهي على الورق
فالنحتُ على الورق يختلف كثيراً عن النحتِ على الجسد
وأنتَ كنت نحتاً على الجسد
أنتَ وشمُ سأحتاج الكثيرَ من الوقت لإزالةِ أثره
وسأحتاج الكثير من الأغطية والملابس والأقنعةِ لإخفائه عنهم

وسأحتاجُ للكثير من الوقت كي أعودَ إلى قالبي القديم !

قالبي الذي كنتُ فيه امرأةً حديدية

فكلُّ الأجزاء الماضية كتبتُها وأنا في حالةِ صحوٍ ونشاطٍ شديد

إلاّ هذا الجزءَ ، أكتبه وأنا في حالةِ وَهنٍ وبردٍ شديد

بردٌ يدفعني للتدثّر بأغطيةٍ كثيرة

لكنّ البردَ كلّما تدثّرت منه ازدادَ

فبردُ الفراقِ لا يعترف بدفءِ الأغطيةِ وثقلها

للفراقِ برودةٌ تستعمر الأطراف

لهذا نحن نرتعشُ عند الفراقِ كثيراً وكثيراً وكثيراً !

ورعشةُ الفراقِ كرعشةِ الحظ

إما أن تكونَ انتفاضةً لبدايةٍ جديدة

فتفتح لنا أبوابَ البداياتِ لننتقيَ منها الأنسب

أو تغلقُ علينا ما لا عددَ له من سجون النهايات !

فبعضُ النهاياتِ كالمعتقلات السياسية

تنكّلُ بنا وتذيقنا من العذابِ أبشعه !

وأشعرُ الآن أنّي معلّقةٌ من رأسي في سقفِ غرفةِ سياسية التعذيب

وهذا الحزنُ يختلف عن أحزاني السابقة

فأحزاني السابقةُ كانت تدفعني للبحثِ عن صديقٍ أفرّغُ في قلبه همي

وهذا الحزنُ يدفعني للبحث عن مكانٍ لا يصلني به بشر

لهذا أنا أوثّقُ النهايةَ الآن من هذه البقعة الموحشة

مكانٌ قديم

بيتٌ مهجور

مات أصحابُه وزهد ورثتُه بأطلالِ أرضه وبقايا جدرانه

ويخيّل للجالس به أن أنينَ أحدِهم يصدر من هذا المكان

ربما هي أرواحٌ عاشت هنا يوماً

واتخذَت من المنزل القديمِ وطناً لها يصعب عليها فراقُه

فبعضُ الأماكن كالأوطان

تغتربُ الأرواحُ كثيراً حين ترحل عنها

وبعضُ الأرواحِ كالطيور لا تستطيعُ التحليقَ والمغادرة بشكلٍ مفاجئ

وهكذا كنتُ أشعر معك

كان يخيّلُ إليّ حين أراك أني أسمع صوتَ رفرفةِ أجنحةٍ ما على ظهري !



معك وحدَك تلهفتُ على متابعة نمو الأجنحةِ على ظهري

معك وحدَك تمنيتُ أن أتحولَ إلى عصفورة

ربما هي رغبةٌ دفينة لملازمتك

فالعصافيرُ لا تحتاجُ لتبرير تواجدها أمام بابٍ ما أو نافذةٍ ما

العصافيرُ ليست مضطرةً لتغيير وجهةِ طيرانها خوفاً أن يفتضحَ

أمرُ قلبِها

العصافيرُ لا تقيدها كرامةٌ ولا يمنعها عن وجهتها تخيّل ظنونٍ

سوداء

العصافيرُ تنتقي الطرقاتِ وتنتقي الأشجارَ وتنتقي النوافذَ

وتنتقي الحيطان !

كم أعشقُ البيوتَ العتيقةَ يا سيدي

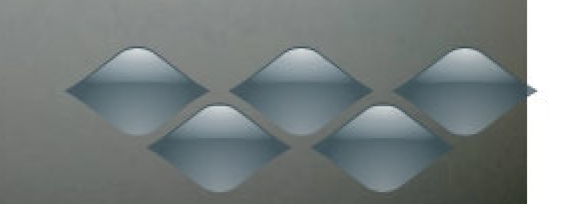
وكلما تسلّلت إلى بيتٍ عتيقٍ تساءلت

لماذا ليس للجدران القديمةِ أبواباً؟

أبوابٌ سرية ندخل منها للزمنِ القديمِ

فكم أودّ الآن الفرارَ إلى زمنٍ قديمٍ

زمنٌ تختلف خارطتُه عن خارطة زمننا كثيراً



أفتح عيني الآن بلا ضجيجٍ وبلا رنين

فلم يعبث أحد بمنبه أمني

لأني استيقظتُ بلا رنين

فلطالما أقلقني في حكايتِك الرنين

لهذا فمنذ أن أحببتكَ وأنا أحرص على عدم ضبطِ المنبه

خشيةَ أن أكونَ معك في حلمٍ ويسرقك الرنينُ مني

كنتُ في حالة ترقبٍ مرعب لطلقةٍ أو لصرخة أو لصوتِ انكسارٍ

ما أو لنداءٍ مباغت

لأي شيءٍ له قدرةٌ على إيقاظي منكَ بشكلٍ مفاجئ

ومع هذا استيقظتُ بلا مقدماتٍ وغادرت بلا مقدمات

تماماً كما أحببتُك يوماً بلا مقدمات

فكلُ شيءٍ معك كان مباغتة بلا مقدمات

كان للبَغتة دورُ البطولة في حكايتِك

والبَغتةُ ترعبُ كثيراً

لأنها لا تمنحنا حقنا الإنساني في الاستعدادِ

لاستيعابِ ما نحتاج للكثير مِن الوقتِ لاستيعابهِ وقبوله

لهذا فاجأني ظهورُ بابِ الخروج من حكايتِك في هذا الوقت أمامي!

فغادرتُ وأنا أضعُ يميني على قلبي

ويساري تحاول التحكمَ في مقود السيارة

وتحجبُ دموعي عني الكثيرَ من الرؤيا

ليست المرةُ الأولى التي يحترق بها هذا القلبُ وينزوي كاليتيمِ

المكسور بين أضلعي !

وليست المرةُ الأولى التي تلوح بها هذه اليمينُ على محطاتِ

الوداع مودعةً قطعةً من الروح

وليست المرةُ الأولى التي أتجول بها في طرقاتِ المدينة وغزيرُ

الدموعِ يحجب الرؤيةَ عني

ليست المرةُ الأولى التي أقف بها على البحر وفي قلبي صرخةُ

حزنٍ لا يسمعها سواي

ليست المرةُ الأولى التي أحاول أن أرفرفَ بها عالياً باتجاهِ قامةِ

أحلامي ويخذلني وَهنُ أجنحتي !

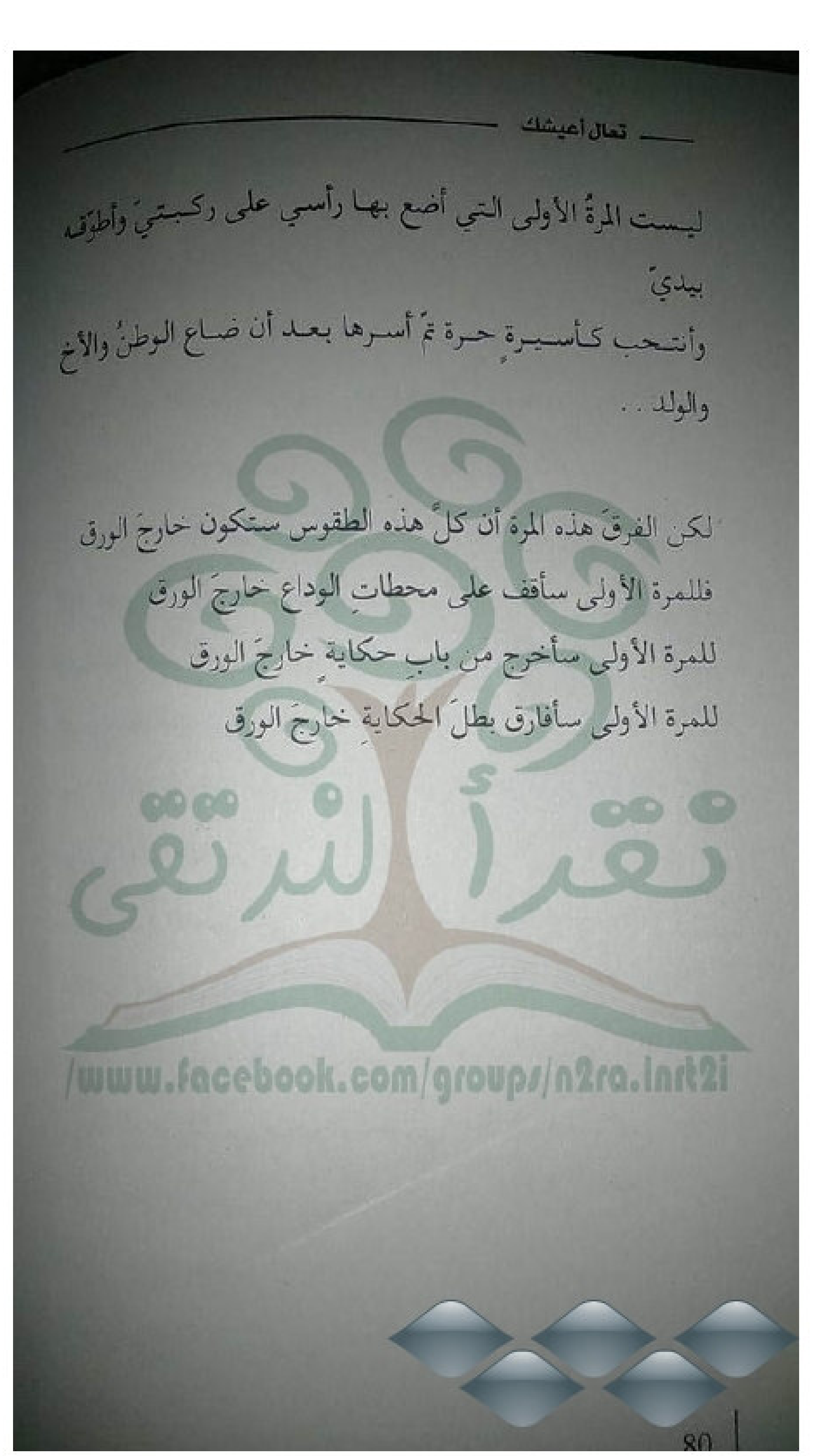
وليست المرةُ الأولى التي أعود بها إلى منزلي مكتوفةَ الأيدي

كي لا تلمحَ والدتي حجمَ الكسر في جناحي !

ليست المرةُ الأولى التي أتسللُ بها إلى غرفتي وأغلق البابَ

بالقفل مرتين متتاليتين

[illegible]كأن مرةً وا[illegible] لا تشعرني [illegible]الأمان كي أمارسَ حزناً وبكاءً سرياً !



ليست المرةُ الأولى التي أضع بها رأسي على ركبتيَ وأطوّقه بيديَ

وأنتحب كأسيرةٍ حرة تمّ أسرها بعد أن ضاع الوطنُ والأخ والولد..

لكن الفرقَ هذه المرة أن كلَّ هذه الطقوس ستكون خارجَ الورق

فللمرة الأولى سأقف على محطاتِ الوداع خارجَ الورق

للمرة الأولى سأخرج من بابِ حكايةٍ خارجَ الورق

للمرة الأولى سأفارق بطلَ الحكايةِ خارجَ الورق

رجلُ الياسَمين

(أتساءلُ دائماً : هل مات رجلُ الياسمين بموت نزار؟)

الأنثى التي تقرأُ لنزار وتؤمن برومنسيةِ الرجل الشرقي تعاني كثيراً

فنزار بلا قصدٍ منه أورثَنا المعاناةَ وأورثنا رومانسيةً دافئة في زمن الصقيع

والحياةُ بين سطور نزار أكثرُ حميمية من زوايا حياتنا

والأحلامُ في قصائده أشدُّ دفئاً من محيط كوننا

لكننا لم ندركْ هذه الحقيقةَ إلا بعد أن تشبعنا بالحب

وسكنتنا الرومنسيةُ كوطن !

وبعد أن أحببنا أطواقَ الياسمين وحلمنا بعقود الفلّ وتعلقنا بخواتم الفضةِ أكثر من الذهب

واقتنينا الخلاخلَ بأشكالٍ غجرية . .

وبعد أن توهّمنا أننا حين نحب ستُهدى إلينا أطواقُ الياسمين

ويُنثرُ الفلّ تحت أقدامِنا

وأننا حين نعشق سنرقصُ على أضواءِ الشموع!

وأننا حين نخلص في الحب سنكونُ أسعد . .

ولكن باقاتِ الورود التي كانت تصلُنا كانت مزخرفةً بلا روح

وهدايا الحب التي قُدّمت لنا كانت تحتوي على كل شيء إلا الحب

وشموعُ السهر كانت تمنح النورَ والعطور لكنها لاتبث فينا الأمانَ أبداً

ورجلُ الياسمين كان يتسلّل من حكاياتِنا أحياناً ليمارسَ كلَّ الأشياء حتى الخيانة !

ومن بين إناثِ المعاناة كنت أنا

أنا الأنثى التي صدقت قصائدَ نزار وآمنت بوجود رجلِ الياسمين

وانتظرت منكَ أشياءَ أهمَ من سوار لؤلؤٍ تطوق به يدَها

فلطالما حلمتُ برجلٍ يتمرّد على أعرافِ القبيلة فيهديني طوقَ ياسمين



ويطوقُ عنقي بعقدٍ من الفلّ اشتراه لي من غجريةٍ صادفها ذاتَ طريق

وأخبرته أن امرأةً مجهولةً في طريقها إلى حياته!

رجلٌ لا ينفق مالَه في شراءِ الأحجار الكريمةِ فقط كي يرضي أعرافهم

رجلٌ لا يتردّد أن يشتريَ لي البحرَ لإحساسهِ أن البحرَ الهديةُ المناسبة لأنثى تعشقُ رائحةَ البحر

رجلٌ يبني لي الكوخَ على الشجرةِ العتيقة ويرافقني إلى البحر كلَّ صباح كي يعلمَني الصيدَ بالصنارة

رجلٌ يسافر معي إلى الزمنِ الجميل ويسترجع معي تفاصيلَ طفولتي ويضحك عند رؤية صوري القديمة ..

رجلٌ لايتردد أن يغني لي أغنياتي التي أحبها حين يفترسُني القلقُ كي أغفو وأنام

رجلٌ لا يعنيه ماذا سيقول عقلاءُ المدينةِ إذا كتب اسمي على جدرانِ المنازل بالفحم ..

رجلٌ لا يمنعه نضجُه أن يقاسمَني لعبةَ الجري في الطرقاتِ القديمة

رجلٌ لا يتلفت حوله حرصاً قبل أن يعرضَ عليَّ مصاحبته



على دراجتهِ النارية ..

رجل لايهتم بردّةِ أفعالِ أقرانه إذا ما علموا بأمر الوردةِ التي يقطفها لي كلَّ صباح ويقذفها باتجاهِ شُرفتي ..

رجلٌ لا تذوب كلماتُه بمجرد مغادرتهِ للطاولة

رجلٌ لا تبرد همساتُه بمجردِ انتهاءِ سهرة حبٍّ دافئة

رجلٌ يخبرني أني أجملُ هدايا الحياةِ له

وأنه حين سجد لله ذاتَ حاجةٍ كنت أنا حاجتَه المرسلةَ إلى السماء

رجلٌ لا يكبر على الحبِ أبداً

ولا يلصقُ على مشاعره تاريخَ صلاحيّة

ولا يؤمن أن الحبَ في مرحلةٍ من مراحلِ الحبِ يموت !



مريم

(أطفالُ الدفاتر لا ينمون ولا يتحركون ولا ينطقون لكنهم عندما يسقطون يتركون بنا من النزفِ الكثير)

إنهم يكبرون بالأرواحِ
يكبرون دون أعراضِ تضخمٍ أو انتفاخ
وحين يسقطون
يتركون بنا من النزفِ والألم
أشدَّ مما يتركه سقوطُ طفلٍ حقيقيَ
ومعك كان اسمُ طفلتي مَريم
وكان طفلي يتسمّى باسم والدِك
وحين افترقنا
رأيت مريم تمسك بيد أخيها بانكسار
ويطيلان النَظرَ إليَّ بأعينٍ عاتبةٍ دامعة
ويتجهان نحو باب الخروج من دائرةِ أحلامِنا

ولحتُّهما يمزّقان أوراقَ عهودِنا الزائفة
ويلقيان بالقصاصاتِ في قمامةِ الواقع
ويكمِلان نحو الغيابِ طريقَهما
فلماذا غادرتَ أنت باكراً؟
وتركتني وحدي أواجه نظراتِ مريم وشقيقِها الصغير؟

من منّا خذل مريم والطفل؟
مريم التي أسبغنا عليها دلالَنا كطفلٍ حقيقي وأكثر
مريم التي عاشت بنا ومعنا
مريم التي كبرت بنا لا حولنا
مريم التي شهدت كلَّ مكالماتِنا الهاتفية
مريم التي قرأت كلَّ رسائلِنا الغرامية
مريمُ التي صدقت كلَّ أحلامِنا
مريم التي وثقت بكلِّ وعودِنا
مريمُ التي أنصتت لكلِّ خططِنا
مريم التي فرحت وحزنت معنا
مريم التي غضبت وثارت وبكت من أجلنا

وها هي الطفلة المُدللة تخرج من دفاتري مكسورةً كأميرةٍ منفية
خرجت قبل أن أفرحَ باستقبالها واقعياً
قبل أن أضعَ يدي على بطني لأتحسّس خارطةَ تحركاتها
قبل أن تطلقَ صرخةَ خروجها للحياة
قبل أن أهديَها تاريخَ ميلادٍ خارج الدفاتر
قبل أن تمهلَكَ لقطع حبلها السُري
قبل أن تمنحَكَ فرصةَ الأذان في أذنيها
قبل أن ألتقط لها في مهدِها صوراً شخصيّة
قبل أن نضيفَها في أوراقِنا الرسميّة
قبل أن يمنحَني الوقتُ الفرصةَ لممارسة أمومتي عليها

مريم خرجت من أحلامي قبل أن أغسلَ بالماء المَرقيّ وجهَها
وأمسح بزيت الأطفال جسدَها
قبل أن أقرأَ آياتِ الله على قلبها
قبل أن أقلمَ أظافرَها وأمشطَ بالفرشاةِ الناعمة شعرَها

مريمُ غادرت دفاتري
قبل أن أسهرَ لقياس درجةِ حرارتها والاستسلامِ للوساوس

كلَّما ارتفعت درجةُ الحرارة

قبل أن تقلقَني حمّى أسنانِها

قبل أن أضبطَ ساعةَ المنبه على مواعيدِ دوائِها

قبل أن أصطحبَها لروضتها

قبل أن أعاني من إيقاظِها صباحاً

قبلَ أن أغلفَ كتبَها المدرسيّة

قبل أن أعكرَ مزاجي في استذكار دروسِها

قبل أن تحرقَ دمي بدرجاتها الشهرية !

مريم غادرت دفاتري

قبل أن أجردَها من عاداتِ الصغار وأدربها على عادات الكبار

غادرتني قبل أن أعودَها على زجاجةِ الرضاعة

قبل أن تتخلى عن لَهاية الصغار

ورفعِ كأس الماء بلا ارتعاشٍ وتناولِ الطعام بلا مساعدة

وارتداءِ فستانِها الزهريَ بلا ماما !

غادرَتني قبل أن أشرحَ لها الخيرَ والشرّ

قبل أن أحذرَها من رفاق السوءِ وسوءِ الرفاق

قبل أن أسردَ عليها حكايةً قبل النوم

قبلَ أن أخدعَها بفرسانِ الحكاياتِ وحكاياتِ الفرسان

قبل أن تغفو على يدي في منتصف الحكايةِ بأمان

مريم غادرت دفاتري

قبل أن تمنحَني تجربةَ دخولِ محلاتِ الأطفال

قبل أن أتعرفَ على مقاساتِ الصِغار وأحذيةِ الصغار

قبل أن أختارَ لها ملابسَ الصيف وأنتقي لها أثوابَ الشتاء

قبل أن تسيرَ تحت شمسيةِ المطر بصحبتي . .

مريم رحلت قبل أن أضعَ صورتَها على كعكةِ ميلادِها

وأطفئَ شمعتَها الأولى بين رفاقِها

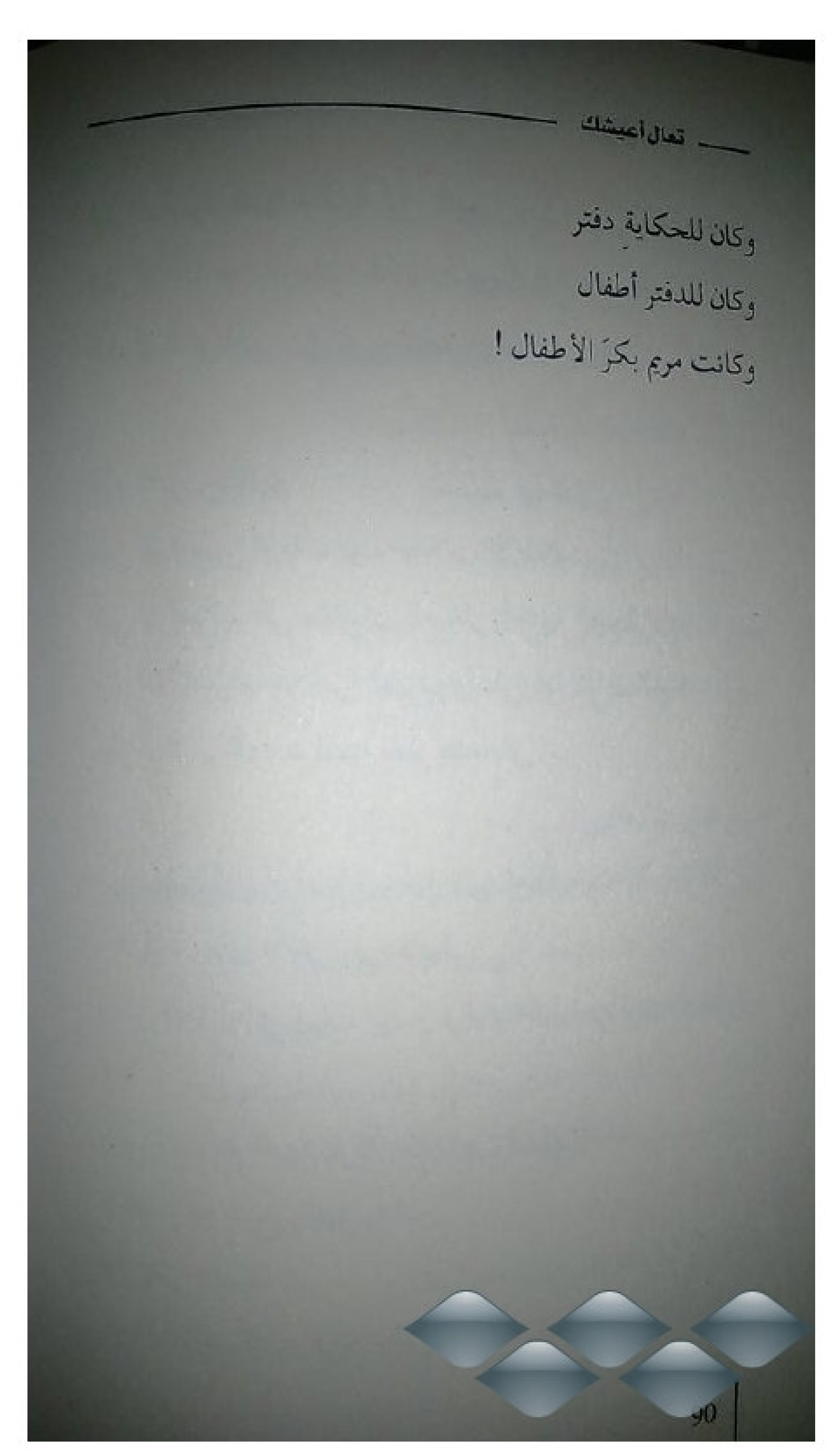
وأغني لها : (هابي بيرث دي تو يو مريم هابي بيرث دي تو يو) !

مريم رحلت مع أخيها تاركةً خلفها من الفراغِ المخيف

ما تصفرُ فيهِ الريحُ والليل والحنين

ليذكرَني صفيرُها

أنه ذات عمر كانت هناك حكاية



وكان للحكايةِ دفتر

وكان للدفتر أطفال

وكانت مريم بكرَ الأطفال !

أنتَ كنتَ أهمَ تجاربي للدخول إلى عالم الكبار

فكنت أريد أن أتخلصَ من طفولتي سريعاً .. وأكبرَ قبل رفيقاتي

كي أختصرَ المسافاتِ بين طفولتي ونضجِك !

أهذا أنت؟

أيُ صدفةٍ قاسيةٍ تقذف بكَ في طريقي كقطعةٍ من عمر في هذا العمرِ من العمر؟

وكأن السنواتِ النائمة تستيقظ من نومها فزعة ..

يا الله ..... فجأةً كأنَ عمري تحول إلى عش عصفورٍ صغير نسفته بكل سهولةٍ ريحُ عابرة

فتبعثرَ أمامي بكل التفاصيلِ الدقيقة به

التفاصيلُ القليلة التي أحتفظ بها منك

فأنا لا أحتفظ منك بالكثير

لأنك غادرت قبل الهواتفِ المتحركة وقبل الرسائلِ وقبل الوسائطِ المتعددة

قبل الإيميلات وقبلَ وسائلِ التواصلِ الاجتماعي ..



أنت غادرت حين كانت تفاصيلُ الحكاياتِ تُكتب في مذكراتٍ صغيرة وتُقرأ بالسر بعد إغلاق المصابيح ..

وكنت أنت فارسَ حكاياتي في دفترِ مذكَراتي ..

دفتري الذي أحرقته خوفاً من عاداتهم وخوفاً من رحيلٍ مفاجئ تتعرى فيه خصوصياتُنا وأسرارنا ..

ورسائلُك كانت أكبرَ أسراري ..

كنت أحفظها كبياناتي الرسمية وكنت أخفيها في خزانةِ ملابسي

إلا رسالتكَ الأولى وضعتها في كتابٍ ربما أكلتها أوراقُ الكتاب الآن

فأنا كبرت ولم أعد أذكر في أي كتابٍ أخفيتُها عنهم !

أنا كبرت وثقلُ عمري أكثر مما تتخيل لكني لم أشعر بثقل العمر إلا حين لمحتُ شعيراتِ ذقنكَ البيضاء .

فأين أفرُّ الآن منك والبحرُ الذي كبرت عليه طفولتُنا وتعثرت أقدامُنا الصغيرة برماله ابتلعَ رمالَ المدينة وتحولَ إلى جزيرة ..

والصديقةُ التي كنت أحدثها عنك لم تعد صديقة؟

أين أفرُّ الآن منكَ وقد عاد إلى أذني ضجيجُ كل الأغنياتِ

التي أحببتها من أجلِك

واستيقظَتْ كُلُّ الأصواتِ في أذني (الصوتُ الجريح وكوكبُ

الشرق وفنانُ العرب)

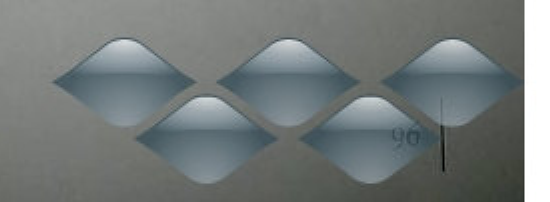
فيروز تردد (نطرت ع بابي بليلة العيد .. مرؤوا كل صحابي

وحدك اللي بعيد)؟

أين أفرُّ الآن منك وأنت الذي وقفت على بابي سنواتٍ طويلة

لأن مثلَك لا تليق النوافذُ به ..

فأنت كنتَ أغلى من طرق بابي وأغلى من لم يُفتح له؟



موتُ الحكاية

(ليست كلُّ الحكايات تموت بموت أبطالِها ولا
كلُّ الأبطالِ يموتون بموت الحكاية)

تموت الحكاية
كما تموت كلُّ الأشياء من حولِنا
وموت الحكاية لا يعني حكايةً انتهت
أو تفاصيلَ تلاشت
أو طقوساً لم يعد لها وجود
أو دفترَ حبٍ كان مفتوحاً وأغلق
أو قصيدةَ عشقٍ لم تعد صالحةً للقراءة !

فموتُ الحكايةِ يا سيدي
هو موتُ الإحساس الذي كان يعيش فينا ونعيش فيه
والذي كنا نتنفسه كي نبقى
والذي كنا [illegible] دمًا كي [illegible]

والذي كان يجعل الوجودَ أروعَ وأجمل

والذي كان يشعرنا أننا على قيدِ الحياة !

موتُ الحكايةِ ياسيدي

هو موتُ حلمٍ كان نابضاً بالحياة

كنا نخبئُه تحتَ وسائدِنا كي ندفِّئه

وكان يخبئُنا في بحر الأمانِ كي يدفِّئنا

وكنا نحمله كالطفل في أعماقِنا

وكنا نهدهده كي يغفو للأبد في خيالِنا

وكنا نسعى كي يكتملَ ويكبر

وكنا نخشى عليه تقلباتِ الواقع

وكنا نتمنى أن يدومَ ويدوم ويدوم !

موتُ الحكايةِ يا سيدي

هو موتُ ليلٍ

كان دافئاً كالأوطان

كان رائعاً كقمر الشعراء

كان حميمياً كحنينِ الطفولة

قاسياً كانتظار الأحبة

حنوناً كقلبِ الأمهات

ملوناً كصناديقِ الأحلام

كان ليلاً ساتراً كالظلام .

موتُ الحكايةِ يا سيدي

هو ولادةُ الخوفِ بكاملِ أجزائه

وكاملِ قواه

وكاملِ سيطرتِه

وكاملِ قسوتِه

وكاملِ انتصاراتِه .

موتُ الحكايةِ يا سيدي

هو فقدانُ الأمان الذي كان لنا أرضاً

وكان لنا محطاتٍ

وكان لنا شواطئاً

وكان لنا مراسياً

وكان لنا وطناً

موتُ الحكايةِ يا سيدي

هو انطفاءُ الشموعِ

وانتهاءُ طقوسِ العشق

واشتعالُ مصابيحِ الوحدة

وولادةُ الصمت

وموتُ الصوت

واتساعُ رقعةِ الفراغ فينا

وضيقُ الوجودِ حولنا

فلا نتسع لشيءٍ ولا يتسعُ لنا شيء .

موتُ الحكايةِ يا سيدي

هو انكسارُ المرايا

هو ضياعُ ملامحِنا في المرآة

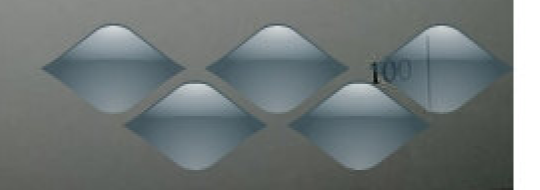
هو تهشم وجوهِنا حزناً

هو انطفاءُ أعينِنا بكاءً

هو استبدادُ الحزنِ فينا

هو انعكاسُ انكسارِنا

هو خداعُ المرايا لنا



موتُ الحكايةِ يا سيدي
هو سقوطُ مدينةٍ كاملة من الحلم
بأبطالِها ومواطنيها
بمبانيها الملونة بألوانِ الأحلام
بطرقاتِها المعبدة بطينِ الأماني
بشوارعِها المضاءة بمصابيحِ الأمل
بمحطاتها المليئةِ بقطاراتِ العمر .

موتُ الحكايةِ يا سيدي
هو احتراقُ دفترٍ غلافُه عمرُنا
أوراقهُ سنواتُنا
سطورُه أحداثُنا
كلماتُه ذكرياتُنا
عباراتُه أمانينا
بين السطرِ والسطر أسرارُنا المعتقة
وبين الورقةِ والورقة رائحةُ الحكايةِ المحترقة .

وتصفحت مراحلي بفصول

فأعدتني إلى المرحلةِ الجامعيّة . .

إلى قلقِ البداية

إلى اليومِ الدراسيِّ الأول

إلى المكتوبِ الأصفر الذي كتب عليه : (طالبٌ مستجد)

إلى رهبةِ المدرجات ودفءِ المدرجات . . وذكرياتِ المدرجاتِ

وحنينِ المدرجات!

أرعبتني . .

لأنك فتحت نوافذَ القلق بي على مصراعيها

لأنك جردتني من برودة عواطفي وبرودةِ أحلامي

وبرودة غضبي وبرودة أعصابي

وعبثت بفصولِ مشاعري

فجئتني بالشتاءِ قبل الشتاء

وبالصيفِ قبل الصيف

وبالربيع قبل الربيع

وبالخريفِ قبل الخريف !

أرعبتني!

لأنك نسفتَ ذائقَتي في الرجال

فما عادت وسامةُ الرجلِ تعنيني

ولا تحضّرُه هاجسي الوحيد

ولا قصرُ قامتِه أعظمُ مصائبي

ولا قلةُ ثقافتِه أكبرُ همي !

أرعبتني ..

لأنك جئتني بالأنثى التي أطلقتُ سراحَها مني .. وفررتُ سنوات منها

وهزمتَ بي الرجلَ الذي صنعتُه في داخلي من تمرِ أحزاني

وعشتُ متنكرةً به ..

فأعدتني إلى قافلةِ النساء

وسربِ النساء وشؤون النساء

وأحاديثِ النساء وأسرارِ النساءِ وسخافاتِ النساء !

أرعبتني ..

لأنكَ عرضتني لإرهاقِ تكرارِ التجارب

فكررت في عمري تجربةَ البلوغ

وتجربةَ المراهقةِ وتجربةَ الأشواق وتجربةَ الافتقاد

وتجربةَ الاحتراق .

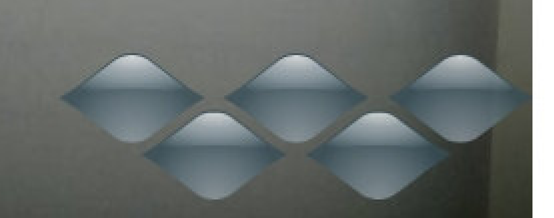
أرعبتني . .

لأنك أيقظت بي خبثَ الأنثى وكيدَ الأنثى

لأنك جعلتني أخطط كيف أراك . .

وكيفَ أخترعُ الأسبابَ كي أمرّ على بابك

وكيف أتخلص من فردةِ حذائي حين تكون أنت خلفي !



عاطفةُ النضج (٢)

(إن كنتَ تحبُني فلا تجعل الكيَّ آخرَ علاجي)

أرعبتَني جداً ..
لأنك جعلتَني أعيد اكتشافَ وجودي
وأطيل النظرَ إلى يدي
وأطيل النظرَ إلى أناملي
وأطيل النظرَ إلى عيني
وأرى من تفاصيل جسدي
وهالاتِ إرهاقي وخطوطِ وجهي ما لم أكن أرى .

أرعبتني ..
لأنك جددت علاقتي بالمرآة
وجددتَ علاقتي باهتماماتِ النساء
وأحذيةِ النساءِ وفساتينِ النساء
وحقائبِ النساءِ وأسواقِ النساء !

لأنك جعلتني أراقبُ تفاصيلَ الهاتف

ورنينَ الهاتفِ ومكالماتِ الهاتف

وإضاءاتِ الواردِ واهتزازاتِ الصادر !

أرعبتني . . .

لأنك جعلتَني أتدرب على الجرأة

وعلى القسوةِ وعلى الحدَّةِ وعلى الشدة

كي أسترَ أمامَك مشاعري

وأبدو في حضورِك الأصلبَ والأقوى !

لأنك أعدتَني إلى عادةِ السهرِ وعادةِ القلق

وعادةِ القهوة وعادةِ التفكيرِ وعادةِ التفسير

وعادة استرجاع المواقف

وعادةِ قضمِ الأظافر وشرودِ الذهنِ

لأنك زرعتَني على محطاتِ الليل

ومحطاتِ السهرِ ومحطاتِ التعب

وصلبتني على عتباتِ الانتظار

والاحتضارِ والشتاءِ والبرد ..

أرعبتني ..
لأنك أعدتَني إلى فيروز وعبدِ الحليم وأمّ كُلثوم
وأصواتِ عشقٍ دافئة هجرتُها ذاتَ وَهن
خشيةَ أن توقظَ عميقَ الجروحِ بي

لأنك ذكرتني بفرسان الزمنِ الجميل
بالهتافاتِ العربيّةِ القومية
بالدمِ الواحدِ والمصيرِ الواحد
بالأرضِ التي كانت تتحدث العربية

أرعبتني ..
لأنك علمتَني التمثيلَ والتزييف والتزوير
فمثّلتُ كراهيتَك ومثّلتُ تجاهلَك
ومثّلت رفضَك ومثّلت النفورَ منك
وأخفيتُ عنك ارتباكي وتلعثمي
وبرودة أطرافي وارتعاش روحي ..

لأنك أعدتَني إلى تفاصيلي الصغيرة
إلى مشطِ الصندلِ الخشبيِّ
إلى عروستي التي لم تكبر معي
إلى شرائطِ شعري الملونة
إلى قلمِ الكحل . .
إلى علبةِ التجميل إلى زجاجةِ العطر
أرعبتني . .
لأنك نبهتَني للنصفِ الفارغِ من السرير
وللوسادةِ الخاليةِ في النصفِ الفارغ
وللجانبِ المخيفِ من الشتاءِ
وللساعاتِ المخيفةِ من الليل وللمراحلِ المرعبةِ من العمر . .

عاطفةُ النضج (٣)

(أحلمُ يا سيدي بحفنةٍ من ممرات طفولتي فكم
تشتاقُ لترابِ الطفولةِ أقدامُنا)

أرعبتَني جداً
لأنك نبهتني أن الذاكرةَ مرحلةٌ
وأن الشبابَ مرحلة
وأن الجمالَ مرحلةٌ وأن النَضارةَ مرحلة
وأنَّ الصِحةَ مرحلة
وأن الأنوثةَ مرحلةٌ وأن الربيعَ مرحلة !

أرعبتني ..
لأنك دفعتَني إلى الشعورِ أن العمرَ فرصة
وأنَّ الفرحَ فرصةٌ وأن الأمانَ فرصة
وأنَّ القطارَ فرصة
وأن الأمومةَ في منتصفِ العمر فرصة



لأنك جعلتني أفكر في عكازاتِ العجز
وسنواتِ الانحناءِ وخطواتِ الوَهن
ووحشةِ الخريفِ وانتكاسِ الخلق وأرذل العمر

لأنك أربكتَني بَعد السنين ومراقبةِ الأيام
وتفصّي الشعيراتِ البيضاء وانكماشِ الجلدِ
والانتكاساتِ والإحباطات والهزائم ..

لأنك قلّصت المساحاتِ بي
فأصبحت مساحةُ الجرأةِ أصغر
ومساحةُ المواجهةِ أصغرَ ومساحةُ الأمان أصغر
ومساحةُ القوةِ أصغرَ ومساحةُ الهدوءِ أصغر

أرعبتني !
لأنكَ ضفرت شعري وخلعت حذائي
وأطلقتَني حافيةَ القدمين في طرقاتِ طفولتي
وأعدتَني إلى الحيّ القديم
إلى أزقة ك[illegible] بها وممرات دفنت شقاوتي بين زواياها

فدخلت المنازلَ المهجورة

وبحثت عن جدي وجدتي

وعن المسنّ صاحب الذقنِ البيضاء

وبكيت على أطلالِ زمن بقيت منه الجدرانُ والأوراق والرسوم

والصور.

أرعبتَني..

لأنك جئتَني بالإحساس الصحيحِ فِي التوقيتِ الخطأ

والمكانِ الخطأ والعمرِ الخطأ..

لأنك جئتَني بعد أن وَهنت صحةُ الأحلام بي

وأصبحت السفينةُ فِي آخرِ البحر..

أتدركُ ماذا يعني أن توهنَ صحةُ الأحلام بنا؟

أتدرك أيَّ ألمٍ يخلفه موتُ الأماني بنا؟

أتدركُ أيَّ سخريةٍ يزرعها وصولُ السفنِ المتأخرة بنا

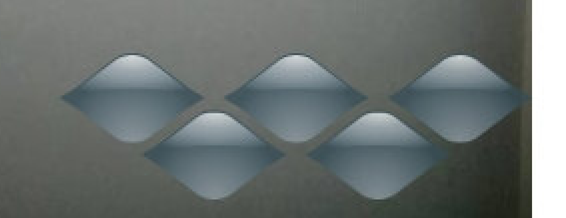
أرعبتَني..!

فهنا كان بحرٌ، وهنا كانت سفينة، وهنا كانت أماني،

وهنا كانت أنثى. أنثى في حالة انتظارٍ وترقُّب

أنثى انتظرت السفينةَ حتى جفَّ البحرُ ولم تغادر المرسى
كانت قدماها مقيدةً برمال الشواطئ . . .
وكانت عند كلِّ غروبٍ تقبّل البحرَ قبلةَ الحياة
كانت تمنحه أنفاسَها علَّه يعود للحياةِ يوماً
فحكاياتُ الجدة علمتها ذاتَ طفولةٍ أن البحرَ لا يموت أبداً

فأنثى البحرِ هذه يا سيدي كانت أنا
وأنا كنت مختلفةً بينهم حدَّ الغربةِ والغرابة
فلم أشعر يوماً أن هذا الزمانَ زماني
كنت في حالةِ غربةٍ دائمة
ولم يكن لمساحاتِ الوحشةِ في داخلي حدود
كنت أشعر أني بقايا زمنٍ ما
زمن رحلت السفينةُ بأهله أجمعين
وبقيت وحدي .



عاطفة النضج ٤

(عاطفةُ النضج غاليةٌ كذاكرة الكبر وصحةِ الكبرِ وحواس الكبر وأبناءِ الكبرِ)

موجعةٌ أنصافُنا الحقيقيةُ كثيراً حين تصلنا متأخرة

ومحاولةُ إلصاقِها بنا تؤلمنا كثيراً !

بعد أن تكونَ أجسادُنا قد اعتادت على أنصافٍ لا تمتّ لنا بصلة

فليس من السهلِ نسفُ تضاريسِ العمرِ حين يصل الإنسانُ إلى منتصفه !

وليست دائماً البداياتُ جميلة !

وليست دائماً البداياتُ ملونة !

ولا دائماً البداياتُ آمنة !

فبداياتُ النضجِ يا سيدي مرعبةٌ جداً !

ففي النضجِ لا مجالَ للتجربة

ولا مجالَ لتكرارِ الخطأ

ولا مجالَ للتعلمِ من الخطأ

ولا مجالَ للاعتذارِ عن الخطأ

لأن السقوطَ والكسرَ في النضجِ باتساعِ الهاويةِ مخيفٌ جداً !

وامرأةٌ فيِ نضجي تملك قدرةَ التمييزِ بين الأنصافِ المزيفةِ والأنصافِ الحقيقية

امرأةٌ في نضجي يا سيدي لديها قدرةٌ على سماعِ دقاتِ قلبِ رجلٍ يحبها بوضوح

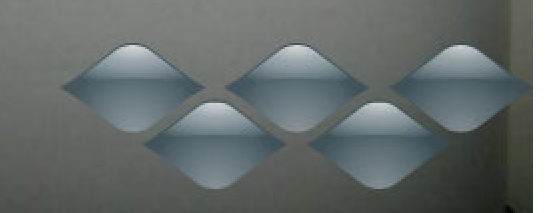
امرأةٌ في نضجي لا يمرّها ارتباكُ رجلٍ يحبها وتلعثمُ لسانه وشرودُ عينيهِ مرورَ الكرام !

فامرأةٌ في نضجي يا سيدي حين تحب تختصر الحياةَ كلها في رجلٍ واحد

وحين تخسره تخسرُ الحياةَ كلَّها إن لم يكن معه فمن أجلِه

فسنواتُ النضجِ يا سيدي لا تؤمن بمبدأ التبديلِ والتغييرِ والبقاء للأقرب .

و(الغائبُ عن العينِ غائبٌ عن القلب)



فالحبُّ الناضجُ يبدأ بصمت

لكنه حين ينتهي لا ينتهي بصمتٍ أبداً !

لأن صوتَ انكسارِه في القلب يعادل صوتَ انكسارِ جبلٍ شامخٍ

وهزةٍ أرضيةٍ قوية !

ويخذلنا الحبُّ كثيراً

حين يتخلى عنا في منتصفِ الطريق

أو في منتصفِ الموج

أو تحت الريح أو قبل المرحلةِ النهائيةِ بقليل

إنها المرحلةُ المُرّة من العمر . .

حيث لا عودةَ للوراءِ ولا قدرةَ على تقبلِ قادمٍ جديد !

فإن كانت سفينةُ عمرِك لا تتسع لإنقاذِ حبٍ ناضج

فلا تلقِ بطوق النجاةِ إليَّ

ولا تعرّض شموخَ الجبلِ للانحناء

ولا هدوءَ الأرض للزلزال

ودعني أتعلقُ بأقربِ قشةٍ لي . . .

ففي زمنِ الطوفانِ لا ننتقي أطواقَ النجاة

لأن كلَّ القشاتِ في زمنِ الطوفانِ منقذة

لأنها تجيد السباحةَ إلى شاطئٍ ما

حتى وإن كان الشاطئُ المحطةَ الخطأ

فعند الغرقِ لا نفكر بالشاطئ بمقدارِ ما نفكر بالحياة ،

فلا تجعل السماءَ تمطر حجارةً على رأسي باسمِ الحب

ولا تطبق زوايا الكونِ على جسدي باسمِ الحب

ولا تزلزل الأرضَ تحت قدميَّ باسمِ الحب

ولا تطهو أحلامي في قدرِك على نارٍ هادئة باسمِ الحب . .

فعاطفةُ النضجِ يا سيدي تلتصق بالاحترام أكثرَ من التصاقِها بالحب

فاحترم وقاري . . وجنبني ثورةَ المراهقين . . وغيرةَ المراهقين وطيشَ المراهقين

احترم نضجي . . وجنبني عرْيَ الأعذارِ الواهنةِ والحججِ المكشوفة والصدفِ المفتعلة !

احترم أخلاقي . . . وجنبني آثامَ الحبِ وسقوطَ الحبِ وخطايا الحب !

احترم تربيتي . . . ولا تشجعني على الكذبِ باسمِ الحب والتحايلِ باسم الحب

[illegible] باسم الحب والضياع باسم الحب !

عاطفةُ النضج ٥

(صندوقُ الدّنيا قد يحتوي على الدّنيا كلها . .

لكنه لا يحتوي على أحلامِنا)

أعدني إليَّ

فدورُ العاشقةِ لا يناسبني . .

ودورُ الافتقادِ لا يناسبني ودورُ الغيرةِ لا يناسبني

فمنذ أن كفرت بالحبِ وأنا أحاول أن أكونَ بين الرجالِ رجلاً

أعاملهم برجولةٍ وأحاورهم برجولة . . وأناقشهم برجولةٍ

وأزاحمُهم برجولة

فغيابُ الحبِ يسلب من أنوثةِ المرأة الكثير ويجرد النساءَ من

الكثيرِ الكثير

وحين لا يكون هناك حب

لا يكون هناك أشياءُ كثيرة !



فالحبُ يا سيدي

هو القدَرُ الذي لا يختبئ في صناديقِ الحظ واليانصيب

والكنزُ الذي لا نعثر عليه في نهايةِ لعبةِ بحثٍ عن شيءٍ مفقود

لهذا لم أدخل رأسي تحت قطعةِ القماشِ يوماً

ولم أبحث عنك في صندوقِ الدنيا

فصناديقُ الدنيا قد تحتوي كلَّ الدنيا

لكنّها لا تحتوي أحلامي !

فأحلامي الصغيرة برغمِ بساطتِها لا تتحقق

ربما لأن قطعَ غيارِها غيرُ متوفرة في زمنٍ كهذا الزمن . . .

وعاطفتُك يا سيدي مرعبة

مرعبةٌ لأنها عاطفةُ النضج

المفترقُ الخطيرُ بين قمةِ الأشياءِ وقاعها

رغبةُ الجنوحِ ورغبةُ التهور ورغبةُ الطيران

لإثباتِ شيءٍ ما

للتمسك بشيءٍ ما

إنها الطوفانُ الذي يعترضنا حين نهمّ بالدخولِ إلى الجزءِ الثاني

من العمر . .

فعاطفةُ النضجِ هي الجزءُ الأخطرُ من الأحلام

والأخطرُ من العواطفِ والأخطرُ من العواقب

الجزءُ الأوهنُ من الصحة . .

والأوهنُ في الجريِ خلف عاطفةٍ نبيلة

والأوهنُ في مطاردة حلمٍ جميل . .

والجزءُ الأضعفُ في مواجهةِ الانكسار . . . والفشلِ والسقوط

وقدرة الوقوفِ من جديد !

عاطفةُ النضجِ يا سيدي

هي لحظةُ الغرقِ التي تجبرنا على التخفيفِ من سفينةِ العمرِ

فنلقي في الموج الكثيرَ من الأحلامِ والكثيرَ من التفاصيل

والكثيرَ من الأطفالِ والكثيرَ من الأمنيات

التي خبأناها للغد ككسرةِ الخبز الأخيرة

إنها العمرُ الدافئُ الذي نطرق أبوابَه

حين يتسلل إرهاقُ الخذلانِ إلى قلوبنا

إنها سفينةُ الأمانِ التي إن غرقت فلا طوقَ نجاةٍ ولا قشةَ غريقٍ

بعدها تنقذنا !



إنها الحبُ الربيعي في حكايةٍ خريفية

وبقايا الخريفِ مؤلمةٌ جداً

كطبقةِ الجلدِ الأخيرة

قبل الخروجِ من الجلد !

فماذا ستهديني من الألم؟

وفي أيّ جيبٍ من جيوبِ عمري ستخبئ ليَ الأحزان؟

فهدايا الحبِ ليست دائماً جميلة

صدقني هدايا الحبِ ليست دائماً جميلة

فبعضُ الهدايا يبدأ نموُها بعد توقفِ نموِ الحكاية

فتتحولُ إلى لعنة

إلى كومةٍ من أطلال ..

تعيقُ طريقَنا نحو الهدوءِ والنسيان .

ماذا ستهديني في هذا العمر؟

هل ستكتبُ بي قصائدَ الشعر؟

ما عاد الشعرُ يغريني!

بعد أن أيقنت أن أغلبَ الشعراء يعددون النساءَ كما يعددون القصائدَ

بعد أن تأكدت أن الشاعر في القصائدِ أصدقُ من حقائقِها

وأن الأحلامَ في القصائدِ أجملُ من واقعِها
وأن الشعراءَ لا يشبهون قصائدَهم
فبعضُ القصائدِ كبناتِ الخطيئة نُسِبْنَ إلى غيرِ آبائِهن !

فهل ستقف في شارعٍ شديدِ الظلمة
في محطةٍ عاريةِ السقف
في ليلةٍ شتائيةٍ ممطرة
لتهديني أغنيةَ حبٍ عبرَ هاتفٍ مجهول؟
فعشاقُ الزمنِ الجميلِ عند الحنينِ يتحولون إلى تماثيلَ من ثلج
يستترون عند تبادلِ الرسائل
ويستترون عند البكاءِ على الجدران
ويستترون عند المرورِ على الأطلال
لهذا هم يثيرون دهشةَ عشاقِ زمنٍ
يجاهرُ عشاقُه بكلِّ تفاصيلِ حكاياتِهم
يجاهرون عند الحُبِّ
ويجاهرون عند الأشواق
ويجاهرون عند الخيانة
ويجاهرون عند الفراق .

على وَهن

(تفقد أوراقَك الرسمية فربما وجدتَ اسمي
مدوناً في خانةِ الأم ،
فمن شدة ما أحببتُك خُيّل لي أني ذاتُ
مخاضٍ تألمت كثيراً وأنجبتُك)

أنا أمُك التي حملتك في ليالي الفراقِ وَهناً على وهنٍ
وتمنيتُك في شهورِ الحنينِ الأولى كأمنياتِ الوحم
كأنكَ آخرُ دقائقِ الحياة لروحٍ تحتضر ،
كأنكَ قطعةُ الخبزِ الأخيرةِ في زمنِ القحط !
كأنكَ قطرةُ الماءِ المتبقيةِ فوق أراضي الجفافِ في زمنِ الجفاف !

أنا أمُك التي أيقظتك باكراً وغسلت وجهَك بيديها
ومشطت شعرَك المبللَ بأطرافِ أناملِها ..
ووضعت لك وجبتَك الغذائية في حقيبتِك المدرسية
[illegible] كتبَك الجديدة

واصطحبتك إلى روضتِك في أولِ يومٍ دراسي
وغافلت طفولتَك . وأنا أمضي بعيداً عنك
كي أمنحَك فرصةَ التأقلمِ مع صحبةٍ جديدة وعالمٍ جديد .

أنا أمُك التي طهت لك طعامَك وغسلت ثيابَك
ورتبت خزانةَ ملابسك المبعثرة
ووضعتُ رأسَك على رُكبتي ألاعب خصيلاتِ شعرِك بيدي
وأسرد حكايةَ ما قبل النومِ عليك .
فإذا ما غفوتَ على ساقي مسحتُ خدَّك بظهر أناملي ورددت
باكيةً : لو تعلم كم أحببتُك لو تعلم!

أنا أمُك التي ربطت كلابَ الحي عنك كي لا تؤذيك
وأوصيتُ بك رفاقَك الأوفياءَ خيراً
ووقفتُ كالسد المنيعِ بينك وبين حجارةِ الزمن
وخناجرِ الأصدقاء ورصاصِ الأيامِ ونوائبِ الدهر .

أنا أمُك التي سهرتُ الليلَ أحيكُ لك ملابسَ الشتاءِ وأنسج
لك كوفيتَك الصوفية

وأسكبُ نورَ عيني في راحةِ ليلِك

وأرقع ثوبَ الحنينِ إليك كي لا يتمزقَ في غابتِهم فيعرّيني أمامَهم ويفضحني .

أنا أمُك التي كلما شعرتُ بحركاتِك ونبضاتِك بي تحسست نموَّك في قلبي

وكلما شعرتُ بك تكبر بي دعوتُ الله أن أبقى حُبلى بك وألا ألدَك أبداً

كي لا يخلو منك رحِمي ، كي لا يخيفني الفراغُ بي بعدك كي لا يستقرَ آخرُ بمهدِك بي .

أنا أمُك التي أضعُ قلبي في مهدِ الشوقِ كلَّ ليلةٍ وأهزه بين أضلعي بحبلِ الحنينِ إليك

وأغني له وأهدهدُه وأناغيه وأخادعُه بنضجِ الحجارةِ على النارِ حتى يغفو كالطفلِ بين أضلعي وينام .

أنا أمُك التي حين أراك أمامي أدرك أني نائمة

وأن رحمةَ القدرِ ألقت بكَ على عتبةِ منامي كي أعيشَك خيالاً فأحضنك بشدة

كأنكَ آخرُ أطواقِ النجاة لي وأغمض عيني بقوةٍ قدرَ استطاعتي كي لا أستيقظَ منك فتضيع في لحظةِ الاستيقاظِ كسرابِ الطريقِ مني .

أنا أمُك التي حين تجوع تقلقني لقمتُك
وحين يتسلل بردُ الشتاءِ إلى عظامي يقلقُني أمرُ شتائك
وأمرُ دفئِك وأمرُ غطائك وأتساءلُ هل حفظت وصاياي بك
أمْ أنها تركتك فريسةً لألمِ الجوعِ وبردِ الشتاءِ ووحشةِ الليل .

أنا أمُك التي كنت أتفقد مكانَك عند الغيابِ بقلقٍ فأبحثُ عنك كالملسوعةِ بالرعب
كالملدوغةِ بالظنونِ ، فأطرق أبوابَ رفاقك عند افتقادك بجزعٍ وأهاتفُهم وأتخابث وأتحايلُ للسؤالِ عنك .

أنا أمُك التي انتظرتك في ليلةِ العيدِ بلهفةٍ وافتقدتُك في صباحِ العيدِ بألم
وبحثتُ عنك في وجوهِ المعيّدين بصمتٍ وخبأتُ لك حلوى العيدِ بجيبِ ثوبي

وصررتُ لكَ عيديتَك بطرفِ غطاءِ رأسي وقلت غداً حين يأتي الشوقُ به

سأحدثه عن الكثيرِ وأعاتبه على الكثير .

أنا أمُك التي كنت أشعرُ بألمِك قبل إصابتِك به وبهمِّك قبل استقرارِه بك

وارتعب من مرضك قبل وصولِه إليك . .

وكان الحبُّ كالمشيمةِ يربط بين قلبي وقلبِك

متحدياً مسافاتِ الزمنِ وظلمةِ الوقتِ ومساحاتِ البعد .

أنا أمُك التي أضحكتْك وأبكيتَها ، أسعدتْك وأشقيتَها . .

قوَّمتكَ وأحنيتَها

سترتْك وعرّيتَها ، احتوتْك وشردْتَها ، حفظتْك وضيّعتَها

وأشعلتَ رأسَ قلبِها بالشيبِ حزناً عليك وحنيناً إليك

فلا هي كرهتْك ولا هي غضبتْ منك ولا هي دعَت بالشر عليك .



أنا أمُكَ التي كتمَتكَ عنهم كالسر العظيمِ وأخفَتكَ عن أعينِهم كالفعلِ المريب

وعانيتُكَ كالهم المؤلم . .

وأحببتُك بلا مقابلٍ ، وحفظتك بلا مقابل

وسترتُك بلا مقابل ، واحتويتُك بلا مقابل وتمنيتُ لك الجنةَ بلا مقابل .

أنا أمُكَ التي إن متُّ يوماً سيقتلُك اليتمُ بعدي وسيقتلُك البردُ بعدي

وستبحثُ عني بين نساءِ الأرضِ وستبكي على أسرَّةِ بناتِ الليلِ طهري

وستدركُ بعد الأوانِ أني أنثى حين أحببتُك أنجبتُك .

أحبكَ مع الاعتذار إليها
(قُل لي بربك : أتحبُها؟ .)

أحقا تحبها؟
تلك المنسوبةُ بفخرٍ إليك
المدونةُ في أوراقِك الرسمية
القابعةُ في عالمِك/ في يومِك/ في نهارِك
في ليلِك/ في بعضِك/ في كلّك؟

إذاً دعني أحدُ سكينَ التخيلِ دعني أنحرُني
هل تفتح عينيها على وجهِك؟
تدقق في ملامحِك بحب وتمسحُ جبينَك بأناملِها
تَرددُ بجنونٍ يشبه جنوني بك : يا الله كم أعشق هذا الوجه؟

هل تعيش معك طقوسي التي تمنيتها؟
فتوقظك على رائحةِ الورد

وتمسحُ وجهَك بوردةٍ حمراءَ ندية

وترددُ بدلعٍ أنثويّ : استيقظ حتى تشرق الشمسُ على الأرض؟

هل تضع لك المعجونَ فوق الفرشاة؟

وتمارس جنونَها على المرآة

تكتبُ بأحمرِ الشفاه :

صباحُك سكر ، أحبُك بحجمِ الشمسِ وأكثر؟

هل تعطّر صبحَك برائحةِ الشوق

وتضعُ فوق مائدةِ إفطارِك وردةً حمراءَ برائحةِ الحب

وتطعمك قطعَ الخبزِ وتسقيك شرابَ الفاكهةِ بيدِها

وتُلح عليك لتناولِ كأس الحليبِ وتهديك ابتسامةَ الرحيل؟

هل تدللك كالطفلِ الوحيدِ فتمشط شعرَك

وتقلم أظافرَك وتساعدُك في ارتداءِ ملابسِك

وتغلق أزرارَ ثوبك وتصرّ أن تصحبَك إلى عتبةِ الباب

كي تحملَك وصاياها وتترك في يديك بقيةً من عطرِها؟

وتناديك كما كنتُ أناديكَ؟ وتحبُها كما كنتَ تحبُني؟

دعني أحدُّ سكينَ التخيّلِ أكثرَ ودعني أنحرُني أعمق ،
هل تفتحُ عينيك على وجهِها صباحاً
فتسافر يديكَ في ضفائرها بحنان ؟
وتحولُها إلى لعبةٍ مدللة
وتتحوّل في حضرتِها إلى طفلٍ شقي؟

هل فاجأتها يوماً وأهديتَها حضورَك بعد طولِ غياب
وأغمضتَ عينيها بيديك . . .
وطلبتَ منها أن تخمّنَ
من صاحبُ اليدِ والعطرِ والوجود والصوتِ والحضور المباغت؟

هل سرتَ معها يوماً فوق شاطئ البحر
تطّوق خصرَها بيدِك وتضع رأسَها على كتفِك
وتجلسُ معها فوقَ الرمال
وتغني لها (ما أصعبَك . . . .أصعب من إني أفهمك)
وتزداد منها قرباً كي تزدادَ فهماً؟



هل تجولتَ معها بالأسواقِ يوماً ويدُك بيدِها

وعينيك تبحث في الزحامِ عني

ويراودُك السؤالُ المقلق : ماذا لو رأيتُك بصحبتِها صدفة؟

وأيُّ الأدوارِ ستختار؟

دورُ العاشقِ المعذبِ في حكايتي؟

أم المخلصُ الوفيِّ في حكايتِها؟

هل دعوتَها يوماً لمشاهدةِ فيلمِك المفضلِ معك

واخترتَ المقعدَ الأخيرَ في الصفِّ الأخير

وحولّتك الأضواءُ الحالمةُ إلى مراهقٍ في سنتِه الأولى

فرميتَ عقودَك وسنواتِك خلف ظهرِك

وأبحرتَ باتجاهِها بطيشِ عاشقٍ؟ .

دعني أحُدُّ سكينَ التخيلِ أكثرَ فأكثر ،

دعني أنحرُني أعمقَ فأعمق

هل احتفلتَ معها بيومِ الحب

وأخفيتَ تحت وسادتِها وردةً حمراءَ ملأتَها بنبضاتِ قلبِك

وأخفَت تحت وسادتِك زجاجةَ عطرٍ رجالي

فإذا ما لمحت الوردةَ ولمحتَ العطرَ طرتَ إليها بشوقٍ

وطارَت بالشوقِ إليك؟

هل رسمتَ لها خارطةَ السهرِ بصحبتِك

وانتقيتَ لها حرائرَها وألوانَها

وعطرَها وأشياءَها الأخرى

وراقصتَها تحتَ أضواءِ الشوقِ ليالٍ وليالٍ؟

هل ارتدت لك ألوانَك المفضلة

ورقصت لك تحت أمطارِ العطور

وسحبِ البخورِ

فوضعت يدَك على قلبِك

كي تحجب عني الرؤية

فلا أرى ما لا طاقةَ لي على رؤيتِه؟

هل شاركتَها عشاءً رومانسياً تحت أضواءِ الشموع

وراقصتها كفرسانِ الحكايات

وسردت عليها حكايةً شوقِك إليها

ذاتُ الحكايةِ التي تكثر من سردِها عليَّ

ثم أطفأتَ الأنوارَ

كي تستترَ من طيفي تحت رداءِ الظلام

هل راودَك وجهي عن خيالِك يوماً وأنت بصحبتِها

فأغمضتَ عينيك تتذكرني

فتضخم بك الحنينُ إليَّ

فتسللتَ تحتَ رداءِ الليلِ كاللصوص

تسرقُ من زمانِك لقلبِك بعض النبض؟

هل فاجأتكَ مني رسالةٌ مجنونة وأنت بصحبتِها

فقرأتَها على عجلٍ كي تخفي آثارَ جريمتِك بي وبها

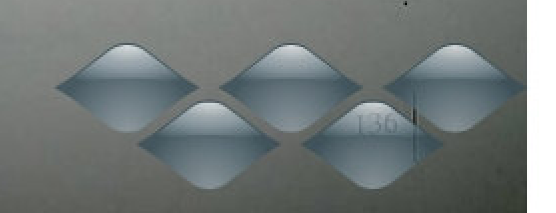
أو أهداك هاتفُك النقالُ رقمَ هاتفي فارتبكت

وعشتَ فصولَك الأربعة كلُّها في لحظةِ ارتباكٍ واحدة

ثم تخفت صوتَ الرنينِ وفي قلبِك صوتٌ آخَر يعلو ويعلو ويعلو؟

.

.



أحبُه سيدتي

ولا عذرَ لديَّ أسوقُه لكِ ..

فحسبكِ من الهناءِ جهلُك بي

وحسبي من الشقاءِ علمي بكِ ...

أوصيكِ به خيراً

(أوصيكِ به خيراً ، فوالله ما أحببتُ من خلقِ الله بشراً كما أحببته)

أمانةٌ يا سيدتي واحفظي مني الأمانة
اذا باغتهُ المرضُ يوماً
فاذكري اسمَ اللهِ على قلبه
وضعي يدَك بحنانٍ على جبينِه
واقرأي عليه سورةَ الإخلاصِ والمعوّذات وطه وياسين وخاتمةَ البقرة
وما تيسّرَ من كتابِ اللهِ لكِ . .
ورفقاً ترفّقي به .

وإذا جاء المساء
أسدلي ستائرَ الشوقِ عليكِ وعليهِ
طيري به إلى [illegible]دن من العشقِ المجنون

تحوّلي في حضرته إلى عاشقةٍ خرافية

كوني له :

ليلى

وبثينة

وعبلة

وجولييت

وسلمى

وكلَّ عاشقاتِ الأرض !

وإذا جاء الشتاءُ

كوني له شمساً

احترقي لعينيه

اشتعلي من أجلِه بين يديه

التقطي له حباتِ البَردِ

واغسلي وجهَه بماءِ المطرِ

وأسدلي عليهِ الأغطية في السَّحَر

شيِّدي له مدنَ الدفءِ

لا تمنحي الشتاءَ فرصةَ إيذائه !

وإذا عاد من سفر

فاستقبليه بجنون

اختبئي خلف الستائر

امنحيه فرصةَ البحثِ عنكِ

ثم فاجئيه بوجودكِ

طيري بلهفة إليه

وانثري أوراقَ الوردِ عليه

تجرّدي من نضجكِ

تحوّلي إلى طفلة بين يديه

اصرخي بأعلى صوت : أيها المجنون افتقدتُك !

وإذا قرأ عليكِ قصيدتَه الجديدة

انصتي باهتمام وبإعجاب إليه

انظري بانبهار لعينيه

صفقي بحماس

ضخمي الشاعرَ في داخله

اطلبي منه إعادتَها

وتكرارَها مرات ومرات

أشعريه أنه أولُ الشعراء

وأعظمُ الشعراء

وآخرُ الشعراء

وكلُّ الشعراء !

وإذا حان يومُ ميلادِه احتفلي به

احملي هداياكِ المجنونةَ إليه

أيقظي الطفلَ المدللَ في داخلِه

اهمسي في أذنيه أنه التاريخُ الأهمُ في حياتك

وأنه الحياةُ الأهمُ في تاريخِك

جرديه من عقلِه امنحيه فرصةَ الطيشِ الجميل !

وإذا شعرتِ بطفلِه يتحرك في أحشائِك

هاتفيه بهمسٍ كي يأتي

وزفّي إليه البشرى بطريقةٍ لا تليقُ إلا به

فاجئيه بصورةِ طفلٍ رضيع يبتسم

ضعيها له فوق وسادتِه واكتبي عليها :

(سأحبُه حين يأتي فقط لأنه قطعةٌ منك)

ومارسي دلالَ أنثى في حملها الأول

وامنحيه فرصة أول أبوة في العمر

وإذا خذلته الأيامُ يوماً

وضاقت به الأرضُ بما رحبت

وجاءكِ مهزوماً مكسوراً

وطرق بابَ قلبِك طلباً للأمان

فرمّمي انكسارَه

واجمعي شتاتَه

استقبليه كالوطن

احتويه كالأم

لا تغلقي أبوابَك في وجهِ ضعفِه

امنحيه فرصةَ البكاءِ على حجرِك

رفقاً، ترفقي به !

وإذا تشهّى الفرحَ ذاتَ حزنٍ

فاعجِني له أرغفةَ الفرح

اخترعي له السعادةَ

وحوليها إلى أنثى جميلة

وزفّيها بوفاء إليه

وارسمي الابتسامةَ بأناملكِ على وجهِه

وسرّبي عصافيرَ البهجةِ إلى قلبِه
اجعليه أسعدَ من مشى على الأرضِ
وأسعدَ من عاشَ على الأرض !

وإذا سرتِ معه بازدحامِ الوجوه
فلا تعبثي بغيرتِه
لا تتحدثي عن سواه في حضرتِه
لا تؤلميه
لا تذبحيه
لا تزلزلي ثقتَه فيه
أقنعيه بأنه أوسمُ الرجالِ وأروعُ الرجال
وأنه رجلٌ لن يملأَ عينيكِ بعده إلا التراب !

وإذا شممتِ يوماً
عطرَ امرأةٍ أخرى في قلبِه
أمانةٌ عليكِ أن تترفقي بقلبِه
لا ترعبي أمنَه
تظاهري بالغباء

أغمضي عينيكِ قليلاً

امنحيه فرصةَ التستر

لا تعرّيه من أوراقِ التوت

حتماً سيعود إليكِ

حتماً أنتِ الباقية !

وإذا طرق الخريفُ بابَ أيامِهِ

وأصبح بأرذلِ العمر

وثقلت سنواتُه فوق أكتافِه

وخفَّ بصرُه

وارتعشت أطرافُه

واشتعلَ بالشيبِ رأسُه

فكوني عصاهُ وعكازه

وارحمي شيخوختَه

وحدثيه بحنان

عن وقارِ الشعرِ الأبيض

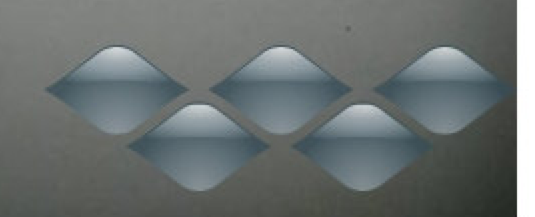
رفقاً ، ترفقي به .

سيدتي أوصيكِ به خيراً

وأعدُكِ أن أتزينَ بمساحيقِ النسيانِ كلَّ مساء

وأن أرتدي قناعَ نسيانه

حتى يصبح وجهي الحقيقيّ.



عابرُ عُمر

(الذين يعبـرون الطريق . . يقتطعون مسـافاتهم من الطريق . . والذين يعـبـرون الأعــمــار . . يقتطعون مسافاتهم منا)

سيدي البعيدُ جداً من موقعي ، القريبُ جداً من أعماقي
لا أعلمُ هل تضخَم بي الحزنُ فأصبحتُ أكبرَ من الوجودِ أم ضاق بي الوجود
فأصبح أصغرَ من حزني !
النتيجةُ واحدةٌ يا سيدي
فبقعةُ الأرض هذه ما عادت تتسعُ لي
وبقعةُ الأرضِ التي كنتُ أقف عليها أصبحت الآن تقف عليَّ
والحملُ أكبرُ من الكتابة ،
والحملُ أثقلُ من التنفس وحاجتي إلى التنفس جعلتني أبحثُ عن وطنٍ يكتظ بالهواء ،



وطنٌ يمنحُني الحياةَ بلا حدود ، وطنٌ يعيد الأرضَ إلى قدميَّ
ويعيد قدميَّ إلى الأرض ،
وطنٌ يجعلني فوق الأرض ويجعل الأرضَ تحتي رحبةً واسعة
كأحلامِ طفولتي ،
وأظنكَ ذلك الوطن أو هكذا يخيّل إليَّ أو هكذا تمنيتُ
دائماً ،

وليس كلُّ ما تمنيتُه منحتني إياه الحياة بالرغمِ أني منحتُها
الكثيرَ مني
وظننتُها ستشبهني ، ستقلدني في العطاءِ لكنها خذلتني ،
سرقتني وأخذت كلَّ شيء
ولم تمنحني إلا القليل .

فيا وطناً من أين أبدأُ؟
من البدايةِ التي ما عدتُ أذكرها أم من النهايةِ التي لا أريد أن
أذكرَها
فأحياناً تتشابه بداياتُنا ونهاياتُنا حَدَّ الملل
فَيا سيدي أجبني من أنا؟ وعلى أيِّ المحطاتِ أقف الآن؟

ولماذا أقف الآن في انتظارِ معجزةٍ تعيدني إلى الحياةِ أو تعيد الحياةَ إليّ ،

لا تندهش لسخافةِ سؤالي ، فأنا أضعتُ أنا ، وجئتُك أبحث عنها وعن أنا وعن ذاتي

ليقيني أني لن أجدَ نفسي الحقيقيةَ إلا لديك !

لأنك أنتَ أصولي وجذوري وأعماقُك هي صندوقي الذي أخبئُ فيه كلَّ ما أخشى عليه من الأيام . .

وذاتُ يومٍ خبأتُ نفسي الحقيقيةَ بك ، نفسي التي لا تشبههم وتشبهني وغادرتُك بالنفسِ الأخرى التي تشبههم ولا تمتّ لك أو لي بأيِّ صلة ،

كنت سعيدةً بهذه النفسِ لقدرتِها الفائقة على التأقلمِ مع عالمِهم التافه

وأجدْتُ دوري ببراعةٍ وكثيراً ما صفقتُ لنفسي بيني وبين نفسي

لكنني الآن أشتاق إلى نفسي الحقيقية تلكَ النفسُ التي خبأتُها فيك

فجئتُك وفي داخلي رعبُ الدنيا كلّه أن تكونَ قد فتحتَ لها أعماقَك ذاتَ ليلةٍ باردة وأطلقتَ سراحَها منك ،

ترى؟ هل ما زلت تحتفظُ بي؟

هل ما زلتَ تحتفظ بالنسخةِ الأصلية لملامحي؟

أشتاقُ كثيراً إلى ملامحي القديمة ، فهل سأراها في مرآتك؟

خدعتني مراياهُم كثيراً يا سيدي ومنحتني وجهاً ليس وجهي

وجسداً ليس جسدي

وأحلاماً ليستْ أحلامي

فتضخَمتُ في أعينهم في الوقتِ الذي كنتُ أتضاءلُ فيه في عيني!

وسافرت ،

نعم ، سافرتُ في كل القلوبِ وكنت أتركُ في كل قلبٍ حلماً ناقصَ النمو

وأرحل وأغادر أعماقَهم متسللةً كاللصوص

وأحرص حرصاً تاماً على ألا تبقى فردةُ الحذاء الذهبيّ خلفي

كي لا تعيدَهم إلى عالمي الذي لا يتسعُ إلا لك!

أرحلُ بحثاً عن حكايةٍ جديدة ،

حكايةٌ مختلفة في فصولِها وطقوسِها وتضاريسِها لكنني اكتشفت أن الحكاياتِ تتشابه

والتضاريسَ تتشابه إلا الإحساسَ ، وحدَه الإحساسُ يا سيدي
يبقى مختلفاً كبصماتِ الأنامل !
فعشتُ سنواتٍ أبحث عن ذلك الإحساس المختلفِ لكن ذلك
الإحساسَ لم يأتِ بعد
وربما لن يأتي أبداً ،
وهنا تكمن مرارةُ اليقين ، اليقينُ بأن القادمَ لن يكونَ أفضل ولن
يكونَ أجملَ ولن يكون مختلفاً
وأنك وحدَك الشيءُ المختلفُ الذي لا يشبهه في قلبي أو حلمي
أو خيالي شيء !

فيا سيدي الوطن ويا وطني السيد
نمتُ عميقاً نمت طويلاً واستيقظتُ بالأمس ولا أعلم لماذا
استيقظتُ
وأيُّ صرخة قاسية للواقع أيقظتني وزلزلت أحلامي
وإذا بالوجوه ليست بالوجوه وإذا الأصواتُ ليست هي الأصوات
وإذا الأماكنُ ليست هي الأماكن ولا الأحلامُ هي أحلامي ولا
الزمانُ هو زماني ولا أنا التي يعرفونها هي أنا التي أعرفُها أنا
وتعرفُها أنت !

ففجأةً شعرت يا سيدي بأنني خارجُ نطاق الزمانِ والمكانِ والأحلام

وبأن أحلامي كانت ضرباً من الوهمِ والجنونِ والشقاء والغباء

فذاتَ يومٍ يا سيدي كنت سيدةَ الحلمِ في عالمٍ بنفسجي اللونِ مخمليِّ الملمس ،

ذاتَ يومٍ كانت لدي قدرةُ الحلمِ بالمستحيلِ الجميلِ

فحلمتُ بما لم تحلم به أنثى قبلي مارستُ كلّ أنواعِ الأحلامِ المستحيلة يا سيدي

تضخمتُ بالأحلامِ قدرَ استطاعتي ولم أدرك إلا بعد فواتِ الأوان

أن للأحلامِ عملةً تُدفع من رصيدِ العمر فما أغلى ثمنَ الأحلامِ يا سيدي .

فيا سيدي الحلم ،

هل تعلم أنك الحلمُ الذي دفعت ثمنَه من رصيدِ سنواتي وأعلنت إفلاسي

من الألمِ والأحلامِ بعدك ؟ فكلُّ الأحلامِ التي عشتُها بعد رحيلِك كانت بلا ثمن

فـهل أدركت الآن من أنت؟ من تكون؟ وأين مـوقـعُك فـوق خارطة قلبي؟

وما حجمُ وجودِك فوق خارطةِ أحلامي؟

أنت عابرُ العمر

آهٍ لو تدركَ معنى وحجمَ ومكانةَ عابرِ العُمر

في زمنٍ يجيدون فيه عبورَ الوسائدِ والسبيل .

عابرُ عُمر ٢

(الفرقُ بين عابرِ السبيل وعابرِ العُمر أن عابرَ السبيل نفارقُه عند انتهاء السبيل وعابرُ العُمر نفارقُه عند انتهاءِ العُمر)

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أنك لا تستحقني !
لكن علمي هذا لم يمنعني من أن أحبك للدرجة التي دفعتني أن أملأَ بك الدنيا
وأملأ بكتاباتي عنك رسائلَ العشاقِ بعضهم لبعض
فيلتقي العشاقُ على كلماتي إليك وأفارقك أنا
في قرارة نفسي كنتُ أدرك أنك تخونني مع نصف نساءِ الكرةِ الأرضية
لكن علمي هذا لم يمنعني من أن أغفرَ لك بحجة أنك كنت وفياً لي
بالقدر الذي منعك من أن تخونني مع النصف الآخَر من نساءِ الكرة الأرضية

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أنني لست المرأةَ الأولى أو الوحيدة
في حياتك
لكن علمي هذا لم يمنعني من أن أخادعَ نفسي بأن المرأةَ
الأخيرة أكثرُ أهمية لدى الرجلِ من المرأة الوحيدة والأولى

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أن بك من خبث الرجال ما يدفعك
لإتقانِ دور الذئبِ الأليف
واعتراضِ طريقِ ذاتِ الرداءِ الأحمر ليلى والتهامِ قلبها بشهيةِ
وشهوةِ ذئبٍ جائع
لكن علمي هذا لم يمنعني من تصديقك بأن الذئبَ الذي
اعترض طريقَها ونام في كوخِ جدتِها لم يكن أنت
في قرارة نفسي كنتُ أعلم أن بك من دنسِ الرجال ما يحولك
إلى رجل الوحلِ على أسِرّتهنَ
لكن علمي هذا لم يمنعني من أن أطأَ وحلَك الراكدَ بحذائي
الذهبي وأعلل اتساخَه بالوحلِ لا بك

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أن حصانَك الأبيضَ بلا روحٍ وأن
فستاني الأبيض بلا تفاصيل

لكنّ علمي هذا لم يمنعني من توشّحِ فستانيَ الأبيض والوقوف على قارعةِ العُمر المُرّ المَار أنتظر معجزةَ قدومِ حصانٍ بلا روح

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أنك لست الأبَ المناسبَ لأطفالي
لكن علمي هذا لم يمنعني من أن أنتقي معك ملامحَهم وأسماءَهم وألعابَهم وأن أناغيهم في ليالي الحنينِ إليك

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أنك لست بحاجةٍ لإغلاقِ أبوابهِنّ عليك ومراودتك عن نفسك وصراخهِنّ بك :
هيتَ لك ، هيتَ لك ، هيتَ لك !
لكن علمي هذا لم يمنعني من الإقبال على أكاذيبِ حكاياتك بالتصديقِ والإدبارِ عن صدقِ حكاياتهِنّ بتكذيب

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أني أحمل لك من الحب ما لا طاقةَ لي به وأنك تحمل لي من الرغبة ما لا طاقةَ لك به
لكن علمي هذا لم يمنعني من أن أشيّد سياجَ العقل بين حبي ورغبتك وأتجنب من السقوط الكثير

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أنك تمثالٌ من تمرٍ إن لم أتناوله في وقته أكله النملُ وخسرته

لكنَّ علمي هذا لم يمنعني من أن أتردّد وأتراجع قبل أن أمد يدي إلى تمرةٍ من حرام

في قرارة نفسي كنتُ أعلم أنك رجلُ المحطاتِ الذي لا يستقر على محطةٍ واحدة

لكنَّ علمي هذا لم يمنعني من أن أقفَ على محطةٍ واحدة وأنتظر قطاراً واحداً ورجلاً واحداً ، كانت المحطةُ محطتك وكان القطارُ قطارك وكان الرجلُ أنت !

فيا عابرَ العُمر ،

لم تكن عابرَ سبيلٍ في عمري بل كنت في عمري عابرَ عُمر !

لم تكن عابرَ سبيلٍ في عمري بل كنت في عمري عابرَ عُمر !



كاذبةُ الفنجان

(كـاذبةُ الفنجـانِ امـرأةٌ قلبت فنجـانَهـا يومـاً
وقالت : أنك لي)

لماذا تذكرتك اليومَ وأنا أحدق في قاع الفنجان وأتذكر حديثَ
كاذبة الفنجان
حين ادعَت أن طفلي الأول سيكون منك؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أتجول في قلبِ وطني؟
ولا أطلالَ في وطني تذكـــرني بك ، ولا أطلالَ في وطنك
تذكرك بي !

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أرتدي فستانيَ الأحمر وأملأ ذراعيَّ
وقدميّ بإكسسواراتِ الغجر
التي عشقتها منذ السنةِ الأولى لمراهقتي؟



لماذا تذكرتك اليوم وأنا ألمح صديقتي تُزفّ لغير حبيبها؟
صديقتي ستُنحَر هذا المساء باسمِ القسمةِ والنصيب

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أقرأ محفوظاتِ هاتفي المتحرك
بكل تفاصيلِ الحب والفراقِ والعذاب والحزن والحنين؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أتصفح قديمَ مقالاتي
(أوصيكِ به خيراً ، أحبك مع الاعتذارِ إليها ، تعال أعيشك ، آهٍ لو تعلم كم ناديتُك بها)؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أقف أمامَ المرآة بكامل زينتي وأحاول جاهدةً
إخفاءَ آثار البكاءِ عليك تحت عيني وفوق جفني؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أسير في الطريقِ وحدي وصاحبُ الأماكنِ يشدو بها
فيختفي الطريقُ من أمامي ولا ألمح سوى دموعي؟



لماذا تذكرتك اليوم وأنا أقف أمام البحرِ بشموخِ حوريةِ البحر
أنادي من قاع البحر: أين أنت؟
لماذا تذكرتك اليوم وأنا أقرأ أشعارَ المجنونِ في ليلاه وأستشعر عذابَه
وهو يمرّ على ديارِها يُقبل ذا الجدارِ وذا الجدار

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أمرّ على حينا القديمِ خلسةً أبحث بين طرقاتِه
عن عطرِ طفولتي وخربشاتِ رفاقي على جدرانِه؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أزور بيتَ جدي المغلق منذ سنوات
أستنشق عطرَه بين الجدران وأسألها عن طفلةٍ كانت أنا؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أتحسس ظهري ويخيّل إليَّ من شدة الطعنةِ
أن الخنجرَ ما زال عالقاً يتأرجح في ظهري ذهاباً وإياباً؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أقطع ورقةً من روزنامةِ الأيام

وأحصي عددَ الأيام المتبقية عن يوم ميلادِك الذي كان يوماً هاجسي الجميل؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أنظر إلى كفّ يدي وألمح خطّ الحياةِ القصيرِ وأتساءل :
هل ستخدم الصدفةُ قارئةَ الكفّ وأغادر الحياةَ كما أخبرتني يوماً باكراً؟

لماذا تذكرتك اليوم وأنا أدفن وجهي في وسادتي باكيةً وأردّد بحرقةٍ قولَه تعالى :
(وما كنت بدعائِك ربي شقيا)؟



أغنية

(أغنية شهيرة تقول كلماتها .... أحبيني بلا عُقدٍ وضيعي في خطوط يدي)

ما من أغنيـةٍ جـردتني من نضـجي وعـقلي وطارت بي إليك خيالاً كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ أتت بك إليَّ في لحظاتِ الحنين كهذه الأغنية

مـا مـن أغنيـةٍ أجلسـتْك على المقـعـد الآخَـرِ أمامي كـهـذه الأغنـية

ما من أغنيةٍ مشطت بها شعرَك على نغماتِها كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ قاسمتُك بها لقمتي وأطعمتُك إياها بيدي كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ وضعت رأسي على كتفِك وراقصتُك عليها خيالاً كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ سرتُ بها معك على شاطئِ البحرِ أحتضن ذراعيك كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ ارتديتُ بها ملابسَ امرأةٍ غجرية واكسسواراتها المجنونة

ورقصت بها أمامَك حافيةَ القدمين كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ أطلقتُ بها أسرَ ضفائري وتحولت بها إلى امرأةٍ بدائية أعيش بين الأشجار

وأكتشفُ النارَ كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ ظهرت لي بها ساحرةُ سندريلا وأهدتني عربةَ الخيول

وسارت بي إلى قصرِك وحفلِك كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ منحتني ثوبَ ليلى الأحمر وطريقَ الغابةِ الموحش وكوخَ جدتِها العليلة

وتفاصيلَ ذئبِها الماكر كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ أيقظت بي تفاصيلَ بيضاءَ الثلج وتفاحةَ الغدر وحنانَ الأقزام

وقُبلةَ الأمير كهذه الأغنية !

ما من أغنيةٍ أعادتني إلى مراهقةِ الخامسةَ عشرَ وارتباكةِ المشاعرِ وخفقانِ القلب

وارتعاشِ اليدِ وأجندةِ الذكريات وصندوقِ الأسرار كهذه الأغنية

ما من أغنيةٍ تجولتُ بها معك في حيّنا العتيق وبيتِنا القديم وطرقاتِ طفولتي

وشممت رائحة حناء جدتي كهذه الأغنية !

ما من أغنيةٍ أعادت إليّ ثوبي المدرسيّ القصير وشرائطَ شعري الملونة

وعبثَت بالزمنِ والوقتِ في ذاكرتي كهذه الأغنية ..

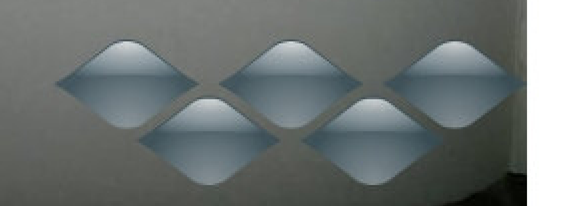
ما من أغنيةٍ دخلتُ بها معك مدرستي القديمة وقاسمتُك المقعدَ الخشبي

وكتبت لك فوق سبورةِ الفصلِ بالطباشير البيضاء : أحبُك أنت فقط ، كهذه الأغنية ..

ما من أغنيةٍ فتحَت لي حقيبتي المدرسية وأخرجت لي كتبي ودفاتري وأقلامَ الرصاص والمبراةَ والممحاة وشاركَتني بها واجباتي المدرسية كهذه الأغنية ..

ما من أغنيةٍ أيقظتني على صباح العيد وأحرقتُ بها العودَ تحت ردائك

ووضعتُ قطراتِ عطري على أنفِك كي أبقى طوالَ النهار في ذاكرتك كهذه الأغنية ..





ما من أغنيةٍ أدخلتني إلى غرفتِك خيالاً ونثرتُ بها ورقاتِ
الوردِ على سريرِك
وأوصيتُ الشتاءَ بك دفئاً كهذه الأغنية ..
ما من أغنيةٍ سرقتني مني إليك كهذه الأغنية
ما من أغنيةٍ سرقتني مني إليك كهذه الأغنية ....

العُمرُ الصعب

(في عمرنا هناك مرحلةٌ تسمى العمرُ الصعب ،
وفي العمر الصعب تتضاعف قيمةُ الأشياءِ
والأيام واللحظات عن سعرها في العمر العادي
وتصبح خسرانُها نكبة)

أنت سرقت ورقةَ التوتِ الأخيرة من شجرة أيامي ونحن على أبوابِ العمر الصعب
وأبقيت الشجرةَ عاريةً من أوراقِها وثمارها وطيورها ،
فكيف صدقتهم أن الأشجارَ تموت واقفة؟ وأن عريَ الأشجارِ من أوراقِها لا يفضحها؟
كيف صدقتهم أن الحكاياتِ لا تحتاج للورقة الأخيرة عند الموت؟
فكلُّ الأشياءِ يا سيدي عند الموتِ تبحث عن ورقتِها الأخيرة

ولو أنك وضعتَ ورقةَ التوتِ الأخيرة عند رأسي قبل رحيلِك

أو أنك علّقتها على بابِ الحكاية وأنت تمضي
أو أنك ثبتها بمسمارِ الرحمةِ فوق جدرانِ عمري
لمّا استيقظتُ بعدك عاريةً من كل شيءٍ إلا حزني وذاكرتي وذهولي
أتلفت حولي ولا شيءَ يحيط بي إلا العمر الصعب
فلا أنا في العمر الصعبِ أنا . . . ولا أنت أنت . . ولا أحلامي هي أحلامي ولا أطفالي هم أطفالي . .
ولا عمري هو عمري . . . ولا حولي بقي كما كان هو حولي!

ونحيبُ الأمكنةِ يملأ الأمكنةَ وروعُ النفس الآمنة مالَهُ أولٌ ولا آخِر
فخسائرُ العمر الصعبِ وهزائمُ العمر الصعب لا تشبه خسائرَ وهزائمَ العمر العادي
وكلُّ سقوطٍ في العمر الصعب ضياعٌ . .وكلُّ انكسارٍ في العمر الصعب نهاية!

وأنا أغمضت عيني عليك سنواتٍ طويلةً أطولَ من سنواتِ عمري

وجلست ألهو تحت أشجارِك بسذاجة طفلة آمنةٍ مطمئنةٍ لك
أقطف التفاحَ الأحمرَ بشقاوة وأجمعه فِي سلةٍ واحدة دون أن
ألمحَ الذئبَ المختبئ خلف أغصانِ العمر !
وظننت أن للذئابِ ملامحَ واحدة وجلداً واحداً وصوتاً واحداً !
ففي حكايات جدتي لم تكن الذئابُ تسير على اثنين ولا
ترتدِي الأحذيةَ ولا الملابسَ ولا الأشمغةَ ولا الدشاديش !

في حكايات جدتي لم تكن الذئابُ تبتسم ولا تغني أغاني
الحب ولا تبيع الوعودَ تلوَ الوعودَ تلو الوعود . .

في حكايات جدتي لم تكن الذئاب مثقفةً ولا تجيد القراءةَ ولا
تكتب القصائدَ ولا ترسلُ الرسائل .

في حكايات جدتي لم تكن الذئابُ تهب الأمانَ ولا تعد
بالزواجِ ولا تنتقِي أسماءَ صغارِها ولا تهدِي الورودَ الحمراءَ ولا
تتبادل الهدايا !

في حكايات جدتي لم تكن الذئابُ تهمس في الهواتف ولا

تسهر على المحادثاتِ ولا تملأ الدفاترَ بالأطفال ولا الحكاياتِ بالأوهام ولا القلوبَ بالأمنيات ..

خدعتني حكاياتُ جدتي يا سيدي ..
فظننتُ أن الأخضرَ سيبقى أخضر وأن الجميلَ لن يتشوه وأنَّ الطيبَ لن يغدرَ وأن الوفيَّ لن يخون وأن كلمةَ الرجلِ كسيفه
فنمت على وسادةِ حُسنِ الظن وحلمتُ بك كثيراً ..
وأنجبتُ منك الكثيرَ من الأحزانِ والكثيرَ من الأحلام والكثير من الأوهامِ
والكثير من الأمنيات والكثير من المستحيلات ،
لكن لا أنا غادرتُ مساحاتِك ولا أنا مددت للنسيانِ يوماً يدي!

وها أنا ذا ، أستيقظ الآن في العمر الصعب وأحشاءُ عمري ممزقة
فأسألُك باللهِ مَن أكل عمري؟
لأن الذئبَ لا يأكلُ السنوات ، الذئبُ لا يأكلُ الأعمار!

وكيف أصدقُ أن الذئبَ قد التهمَ عمري؟ وأنتَ تركتني في العمر الصعب؟



تركتني وأمطارُ عمري شحيحةٌ تكاد تنفذ

تركتني وشمسُ أحلامي وهنةٌ تكاد تغرب

والأرضُ الخصبةُ أمست من الحزنِ بورٌ . . والأرضُ الخصبةُ أمست من الحزن بور!

فإلى أين تمضي؟

إلى أين تمضي وخيالُ المأتة الذي ألبستُه ملابسك وتركته خلفك كان يوماً أنت

كيف تحولتَ إلى خيال مأتة يمنع اقترابَ طيورِ النسيان والفرح مني؟

كيف تحولتَ إلى خيال مأتة؟ وماذا في هذا العمر سيحمي خيالَ المأتة؟

وقد أصبحتُ بعدكَ حفنةً من ترابٍ ورماد . .

لأن جرادَ الفراقِ أكل كلَّ الاخضرارِ بي وحولي!

فمن يغسلني الآن بالماءِ والبَرَد

ويعيدني الآن إلى الغابةِ الخضراء؟

من يعيدني إلى الغابةِ الخضراء

والأحلام الخضراء والأمنيات الخضراءِ والعمر الأخضر؟

عامود العُمر

(ما احتجتُ لشيءٍ بعدك كحاجتي إلى عكازٍ يرفعني من الأرضِ ويحميني من السير على أربع ، لأن للعمرِ عامودٌ إن سقط التصقت سماءُ العمر بأرضِه)

لا أعلم كيف تحول قلمي بعدك من سلاحي إلى عكازي

ولولا هذا القلمُ لتساقطتُ منذ زمن

وأشدُ ما أرعبني بعد رحيلِك اكتشافي أن للعمر أعمدةً وأن بعضَ البشرِ أعمدةٌ للعُمر

وأنه عندما ينكسر عامودُ الإنسان يسقط الإنسان

وعندما ينكسر عامودُ البيتِ يسقط البيت

وعندما ينكسر عامودُ العمر يسقط البيتُ والعمرُ والإنسان

وقد كنتَ عامودَ عمري وحين انكسرتَ أنت سقط البيتُ والعمرُ وأنا !



لهذا لم يؤلمني قلبي وأنت ترحل بمقدارِ ما آلمني ظَهري

حتى كدتُ أسير بعدك على أربع

فبعد موتِ الحكاية ينحنِي الإنسان كثيراً

وانحناءُ ما بعد الفراق يجعلنا نبدو أكبرَ سناً وأكثرَ عجزاً

فالفراقُ رصاصةٌ لا تصيب سوى الأجنحةَ والظهر

لهذا لا تجيدُ العصافيرُ التحليقَ والطيرانَ بعد الفراق كما كانت قبله

ولا الأسُودُ تجيدُ بعد الفراقِ قوةَ الزئير ما قبل الفراق

ووحدَها الأنثى تدركُ الفرقَ بين العلاقةِ المفضّلة .. والصداقةِ المفضلة

والحكايةِ المفضلة .. والمرحلةِ المفضلة

وأنت لم تكن حكايةً مفضلة ولا صداقةً مفضلة ولا مرحلةً مفضلة

أنتَ كنت هذا العمرَ بامتداد مراحلِه وعلاقاته وصداقاته وحكاياته

وكنتُ أنا الغجريةَ التي لا تجيد تَعددَ صداقاتِها وعلاقاتها

وتؤمن بمبدأ الرجلِ الواحدِ للعمرِ الواحد ..

لهذا حين انكسرتَ أنت . .

لم يكن في عمري أعمدةً أخرى تسعفُه بالوقوف !

ومع أننا لم نولد في زمن الحرب

ولا في زمنِ الجاهلية

ولا في زمنِ الكوليرا

ولا في زمنِ الطاعون

لكن ، عُزِلَ كلانا في عالمٍ آخرٍ لا يمتُّ للآخَر بصلة

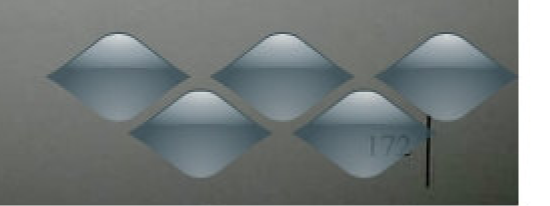
فأمسى عالمي كجزيرةِ النارِ التي إن اقتربت منها احترقْت

وأمسى عالمُك كالمدينةِ الموبوءةِ التي مُنعتُ من دخولِها كي لا أهلَكَ!

وبرغم أننا كنا كسائرِ البشر حواءَ وآدمَ ،آدمَ وحواء .

وبرغم أنني لم أسقط عليك من السماءِ ولا أنت نبتَّ لي من الأرض

لكن ظهورَنا في العُمر الخطأ جعل حبنا بحجمِ خطيئةٍ على الأرض!



وكم حمدت اللهَ أنك لم تتسرب إلى عالمي وأنا على مقاعدِ الدراسة

لكنتُ الآن أنثى فاشلةً عرقلَ قلبُها مستقبلَها !

لهذا كان للخيال في علاقتي بك النصيبُ الأكبر

وكان للأحلامِ في حكايتي معك دورُ البطولةِ الأولى

وكطائرةٍ ورقيةٍ تماماً كنتُ أمسكُ بك بحرصِ طفلةٍ تخشى غدرَ الرياح

لكن خيطَك انقطع من يدي

وأخذَتك الرياحُ إلى حيث لا أعلم ولا أرى ولا أبصر

وكعابدةٍ من زمنِ الجاهلية بقيتُ خلفك

أصنع أصنامَ التمرِ في ليالي الحنينِ فإذا ما جعتُ إليك الْتهمتُ أصنامي بنهَمٍ غيرِ مباليةٍ بآلهتِهم !

وقضيت عمري بعدك فوق شواطئ الوهم أبني القصورَ الرملية

وأنتظر وصولَ سفينتِك المرتَقبة فكانت السفنُ الورقية تمرُّني السفينةُ تلوَ السفينة تلو السفينة

وأنساني ذهولُ الفراق . .

أن قصورَ الرمالِ لا تستـرُ العشاقَ وأن بحرَ الخيال لا يأتي

بالسفن

وكنتُ امرأةً قابلةً للوهم كثيراً وما أكثرَ الذين خدعوني بك

خدعني بك قلبي كثيراً ، خدعَتني بك قارئةُ الفنجان

خدعَتني بك قارئةُ الكَف ، خدعتني بك صحفُ الحظّ وكتبُ

الأبراج

خدعتْني بك حكاياتُ جدتي

حين أوهمَتني أن وقتَ الأمير

يتسعُ للبحث عن صاحبةِ الحذاء

وفي حبِك لم يكن ينقصني حبُ قيسٍ كي أمرَ على الأبواب

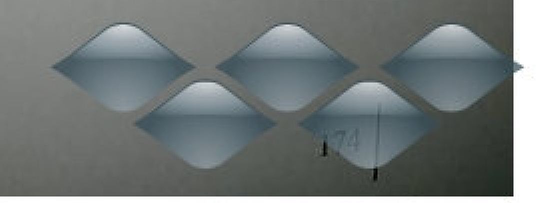
بغيرِ حاجة

كان ينقصني جنونُك

فما أدمى عنقَ حكايتي معك سوى قيد عقلي

فلا شيءَ يكسرُ العاشق

كالحبِ بجنونٍ والتصرفِ بعقل !



حمَلتَني فوق طاقتي

(لم تكن في عمرى سوي شيء يفوق الطاقة بكثير)

حمّلتَني فوق طاقتي
فتحتَ لي بوابةَ أعماقِك
عرفتَني بحكاياتِ قلبِك
حدثتَني عن نسائِك بالتفصيلِ المؤلم
رسمتَ لي وجوهَهنّ فوق كراسةِ يدي
كتبتَ أسماءَهنّ في أجندةِ ذاكرتي
وصفتَ إحساسكَ بحضورِهنّ وجنونهنّ بحضورِك
فأنصتُّ إلى حديثِ ذكرياتِك باهتمامٍ كي أرضيك !

حمّلتَني فوق طاقتي ،
رسمتَ لي صورةً مستحيلةً عن فتاةِ أحلامِك
فحاولتُ أن أكونَ امرأةً أسطورية

وحاولت أن أكون امرأة خرافية

وحاولتُ أن أكون امرأةً فدائية

وحاولت أن أكون امرأة الكترونية

وحاولتُ أن أكون امرأة صناعية

وحاولت أن أكون امرأةً سياسية

كي أنال إعجابَك

لكنني فشلتُ أن أكونَ هيَ وفشلتُ أن أعود إلى هيئتي الأولى

فأكونُ أنا .

حمّلتَني فوق طاقتي

أغمضتُ عينيَ أمام عينيك

فمنحتَني إحساساً وهمياً

ومنحتَني حلماً وهمياً

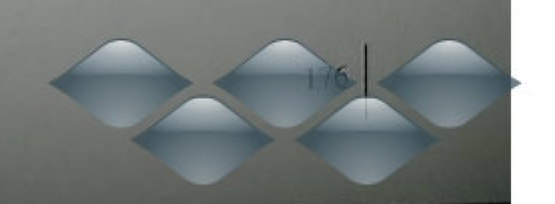
ومنحتَني قصراً وهمياً

ومنحتَني شوقاً وهمياً

ومنحتَني طفلاً وهمياً

ومنحتَني أملاً وهمياً

وحين فتحتُ عيني اكتشفت مساحةَ الوهمِ المخيفِ في حياتي .



حمّلتَني فوق طاقتي

علمتَني أسهر الليلَ أقلّب فناجينَ غيابِك

وعلمتَني أسهر الليلَ أروّضُ وحوشَ انتظارِك

وعلمتَني أسهرُ الليل أحصي عددَ نسائك

وعلمتَني أسهر الليلَ أحتسي كؤوسَ عنادِك

وعلمتَني أسهرُ الليل أحدقُ في سقفِ حكاياتِك

وأستقبلُ الصباحَ كامرأةٍ عجوز في عامِها الألف وانكسارِها الألف !

حمّلتَني فوق طاقتي

علمتَني الكراهيةَ

فكرهتُ الطرقَ التي لا تؤدي إليك

وكرهت الأحلامَ التي لا تأتي بك

وكرهت حرائري التي لا تراها

وكرهتُ عطوري التي لا تشمُّها

وكرهتُ الأغاني التي لا تحبُّها

وكرهت القصائدَ التي لا تقرأها

وكرهتُ البشرَ الذين لا تستسيغُ وجودَهم وأصبحتُ بلا قصدٍ نسخةً مُشوهةً منك !

حمّلتَني فوق طاقتي

بنيتَ لي قَصراً من الرمال

جعلتني فيه الأميرة

وجعلتني فيه الأسيرة

وجعلتني فيه الأثيرة

وجعلتني فيه الأخيرة

لكن عمري يمضي وأنا ما زلت أميرةً رمليه في قصرٍ من الرمالِ

وما زالت الرمالُ رمالاً .

حمّلتَني فوق طاقتي

علمتَني الكذبَ الأبيضَ والأسودَ والملون

فكذبتُ على نفسي

وكذبت على عقلي

وكذبت على إحساسي

وكذبتُ على قلبي

وكذبت على قِيَمي

وكذبتُ على مبادئي

وكذبت على أقربِ الأشيا[illegible] كي أحتفظَ بك

لكنني اكتشفتُ أنك الكذبةُ الكبرى والجريمةُ الأولى في حياتي .

حمّلتَني فوق طاقتي
أخفيتَني في الركنِ المظلمِ من حياتِك
فأحببتَني في الخفاء
واشتقتَني في الخفاء
وبكيتَني في الخفاء
وناجيتَني في الخفاء
وكتبتَني في الخفاء
ورسمتَني في الخفاء
وقرأتَني في الخفاء
وحولتَني إلى امرأةٍ مسائية
وما زلت أحلم بعد الألفِ سنةٍ من الظلامِ أن تجاهرَ بي يوماً
وتهديني إلى الصباح .

حمّلتَني فوق طاقتي
أقسمتَ لي أني في قلبك

الأولى

والثانية

والثالثة

والألف

والأخيرة

لكنني اكتشفتُ أن كلَّ امرأةٍ زارَت قلبَك يوماً

تحمل في جيبِها القسمَ ذاتَه منك والوثيقةَ ذاتَها

وأني عابرةُ سبيلٍ زارَتك في غيرِ أوانِها .

حمّلتَني فوق طاقتي

جعلتَني امرأةً عجوزاً في غيابِك

أحرقتَ ريشَ طفولتي

وقصصْتَ جناحَ خيالي

وكسرتَ ظهرَ شبابي

وسرقت صندوقَ أحلامي

ونثرت بذورَ الشعرِ الأبيضِ في ضفائري

ونشرتَ في أعماقي الفساد

وسلبتَني شهيةَ الحياةِ وشهيةَ الاستمرارِ بلا عينيك .

هل؟

(هذا صباحٌ مؤلم فقد استيقظتُ فيه على صَفيرِ
رياحِ الحنينِ إليك)

هل أيقظَك الحنينُ من نومِك ذاتَ ليلة
فاستيقظتَ مفزوعاً لا شيءَ حولَك سوى الفراقُ والفراغ
فاستسلمتَ لأنينك ودخلتَ في نوبةِ بكاءٍ لا انتهاءَ لها؟

هل فتحتَ دفاترَك المغلقة يوماً وقلبتَ الصفحات
بحثاً عن امرأةٍ كانت تعيش بك
ثم قطعَتْ تذاكرَ الرحيلِ وارتدَت حذاءَ الغيابِ ورحلتْ
تاركةً خلفها بصمةً بعمقِ البئر تذَكرُك بأنها ذاتَ يومٍ كانت
تقيم معك كالدَم؟

هل قاومتَ عطشَك يوماً وامتطيتَ خيولَ الشوق
وخرجتَ تبحث عن أيامك المفقودة

وقطعتَ طرقاتِ الضياع

وسابقتَ جنونَ الرياح

لأيامٍ تتمنى لو أن الزمانَ يهديكَ ساعةً واحدةً منها؟

هل طرقتَ بابَ ذاكرتِك يومَ ميلادي

فأغمضتَ عينيك في زحامِهم

واستحضَرت وجهيَ الحزينَ عند الرحيلِ وقلبي المرتعش رعباً عند الوداع

وردّدْت بينك وبين صمتِك : ترى ماذا فعلت الأيامُ بقلبِها بعد قلبي؟

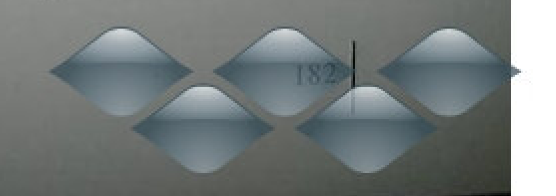
هل فتحتَ أجندةَ ذاكرتِك ليلةَ العيد

ولمحتَ بقايا حروفِ اسمي وأرقاماً ضائعةً بين السطور

وفكرتَ في أن تهاتفَني فخانتك جرأتُك وخذلَك كبرياؤك

وأجلتَ حنينَك عاماً آخرَ واستقبلتَ العيدَ وحيداً حزيناً كطيورِ النورس؟

هل زرْتَ الأطلالَ بعد رحيلي وسرْتَ بين الأشلاءِ وحيداً



وشممتَ عطرَ الأمسِ وتعرقلَت قدماك ببقايا الأحلامِ المتهشمة

وجلستَ تحدثُ البقايا عني وتنادي في فراغ الفراق فلا تسمعُ

سوى بكاءِ الأمس؟

هل سرْتَ فوق الشواطئِ الحزينة وتمدّدْت فوق رمالِ الحنين

وسافرتَ خيالاً إلى مدينة الماضي وتجولتَ في طرقاتِ أحلامِك

ورجوتَ الزمانَ أن يعودَ إلى الوراء بأعلى صوتِك كي نعيدَ

الحكايةَ الجميلةَ من جديد؟

هل أمسكتَ القلمَ بحكمِ العادة وهممْتَ بكتابةِ رسالةِ حبٍ

دافئة

وناديتَ كلَّ حروفِ اللغةِ

فخانَك الحرفُ

وخانَك التعبيرُ

حتى مزقتَ أوراقَك ومزقتَ إحساسَك

وشعرتَ بأن حزنَك أكبرُ من الكتابة؟

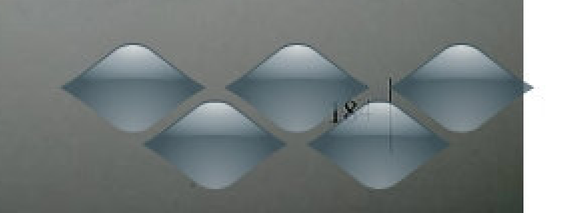
هل دخلتَ مدينةَ خيالِك وبحثتَ عن طفلِ أحلامِنا

وضممتَه إليك بحنانٍ واشتريتَ له لعبةً جميلة

وأوصيتَه بنفسِه خيراً
ووعدتَه بأنك ذاتَ يومٍ ستعود إليه لتحتويه بحبٍ
وأنت أعلم الناسِ أنك لن تعودَ أبداً؟

هل أحببتَ بعدي؟
وهل سردتَ حكايتي المجنونةَ معك على امرأةٍ عاقلة
وتضخمتَ بالعقل وأنت تصفُ لها جنونَ مشاعري تجاهَك
وانتشيتَ بغرورٍ وأنت تهتِكُ سترَ رسائلي أمامها
وضحكتَ بأعلى صوتِك وأشرتَ إلى الجبال
وأنت تصفُ لها حجمَ ألمي عند الرحيلِ عنك؟

هل نجحَت إحداهنّ في احتلالِك
فتسلّلتْ إلى قلبِك في غفلةٍ من قلبي
وأطاحَت بعرشي بك وشرّدَت جحافلَ أحلامي
وجَردَت أعماقَك من بقاياي
وأزالَت كلّ بصماتي وخربشاتي على جدارِ قلبِك
وأنهَت عهدي الجميلَ بك؟



هل خلوتَ بنفسِك في لحظةِ ألم
وسافرتَ في الدفاترِ المغلقة
وأبحرتَ بين السطورِ المتبقية
واسترجَعت كلَّ تفاصيلِ الأمس
وسألتَ نفسَك بانكسار : لماذا التقينا؟ ، ولماذا افترقنا؟
فغرقتَ في أمواجِ الحيرةِ وتعرقلتَ بعلاماتِ الاستفهام؟
هل تمنيتَ أن تجمعَنا صدفةٌ جميلةٌ في الطريق
لترى ماذا فعلَت بي الأيامُ بعدك
وأرى ماذا فعلَت بك الأيامُ بعدي
وعلى أيِّ الدروبِ تقف قلوبُنا بعد الفراق
وماذا تبقّى فيك مني وماذا تبقّى منك فيّ
فخانَتك الصدفةُ وخذلَك الطريق؟

هل اتخذتَ قرارَ النسيانِ يوماً ذاتَ ذكرى
وتهتَ في صحراءِ الذكرى تبحثُ عن بئرِ النسيان
ونمتَ تحت ظلالِ الحزنِ تحلم بحلمٍ جديدٍ لا يحتويني
ومدينةٍ دافئة لم أترك آثارَ قلبي فوق طرقاتِها
وحكايةٍ أخرى لم أشارك في تفاصيلِها
ولم أترك قطراتِ عطري الثائرِ بين صفحاتِها؟

هل تحولتَ في الأسواقِ وحيداً
تبحث عن هديةٍ رائعة تقدمها لي في عيدِ الحب
ووقفتَ بين الزهور حائراً سائلاً نفسَك :
أيها تنتقي لقلبي؟ وأيُّ الباقاتِ تتركها على عتبةِ بابي؟ ،
ثم تذكرتَ وأنت في طريقِ العودةِ أننا في حالةِ فراق
فأهديتَ الباقةَ لامرأةٍ أُخرى؟

هل حوّلك الشوقُ إلى فتىً مراهق
فتجردْتَ من نضجِك وعقلِك
ومررتَ حولَ منزلي ذاتَ ليلةٍ شتائية
واستترتَ في الظلامِ كي تراني
وتبللتَ بالمطرِ وأنت تكتب اسمي فوق الرملِ المبلل
وعدْتَ تبكي إحساسَك
وتحدثُ الطرقاتِ عن حكايةٍ ماتت وتداري دمعَك من شمسِ الواقع؟

هل تحولتَ إلى عصفورٍ جائع
وطاردتَ أخباري في الصحف



كي تعرفَ من أحببتُ بعدك

وهل ما زلتُ أحبُك بالحجمِ ذاتِه أم أني ألقيتُ بك إلى ريحِ النسيان

وأغلقتُ بوابةَ الأمسِ خلفك إلى الأبد؟

هل دفعَك قلبُك نحوي

وأخذَتك قدماك إلى شاطئِ البحر

فجلستَ فوق الشاطئِ وحيداً ورجمتَ البحرَ بالحجارة

وأنصتّ إلى نحيبِ الأمواج وامتلأتَ بالغربة

وداخلُك إحساسٌ بالحزنِ حين خيّل إليك أن البحرَ يسألُك عني؟

هل طاردَك الشوقُ يوماً كوحشٍ مفترس

ففررتَ منه كالجُبناء

ودفنتَ رأسَك في ترابِ الواقعِ كالنَّعامة

وجسدْتَ دورَ العاقلِ بجدارة

وتحدثتَ عن الحبِ باستهتار

ووصفتَ العاشقين بالغباء

وحين انهارَت مقاومتُك بكيت فوق صدرِ الواقع كالأطفال؟

هل سرْتَ في الزحامِ بحزنٍ تبحثُ عن وجهِ امرأةٍ تشتاقها
وتنقّب عن صوتٍ غادرَك كالغرباء
واحتضنتَ رعبَك بارتعاشٍ حين اكتشفت أن الوجوهَ لا تشبهها
وأن الأصواتَ لا تمتُ لها بصلة
وأن الأشياءَ الجميلةَ لا تشرق في حياتِنا بعد الغيابِ مرةً أُخرى؟

هل فتحتَ عينيك يوماً بدهشةٍ ولمحت سعادتَك تتحول إلى عصفورٍ صغير
يفردُ نحوَ المجهولِ جناحيهِ ويحلّق بعيداً عنك حاملاً في منقاره أجملَ أيامِك
وأغلى سنواتِ عمرِك ويغيب كالحلمِ عنك وتتلاشى كالسرابِ أمامَك؟

هل التقيتَني يوماً صدفةً فسألَك قلبُك عني بإلحاح
ووقفتَ أمامي بصمتٍ ودققتَ في وجهي كي تتعرفَ إليَّ

وقلبتَ أوراقَ ذاكرتِك كي تتذكرَ أين التقيتَني من قبل
وتابعتَ طريقَك وأنتَ تتساءل بفضولٍ ترى أين التقيتُها؟ ، ومن تكون؟

هل جرفَك خيالُك إلى مدنِ الأمس؟
فتجولتَ في طرقاتِها بحثاً عن أنفاسِ امرأةٍ
علمتكَ الحبَ وعلمَتك الوفاء
وعلمَتك النقاءَ وعلمَتك الفرح
وعلمتكَ العودةَ إلى سنواتِ عقِّك
وعلمَتك الحنينَ إلى صَدرِ الأم

هل عدْتَ إلى منزِلك باكراً
وجلستَ بجانب الهاتفِ تسترجع الذكريات
والحواراتِ
والضحكاتِ
والأصواتِ
والحماقاتِ
وسألتَ المساءَ أن ينتظرَ قليلاً راجياً الهاتفَ أن يهديَك صوتي؟

هل جرفك طوفانُ النسيانِ إلى مدنِ الضياع
فتخبطتَ في محاولاتٍ فاشلةٍ لقتلِ الحب
وطوقتَ بذراعيك نساءً لا يمتنّ للحبِ بصلة
فراقصتهنَّ كالمجنونِ ووعدتهنّ بالشمسِ والقمرِ والنجوم
ثم استيقظتَ على صوتِ قلبِك
وعدْتَ منهنّ تبكيني تحت مصابيحِ الندمِ والحنين؟

هل ما زال صوتي ينامُ في أذنيك؟
وهل ما زالت صورتي عالقةً في عينيك؟
وهل ما زال حلمي حلمُك
وطفلي طفلُك
وألمي ألمُك
وضياعي ضياعُك
أم أنه لم يتبقَ مني فيك سوى الموت؟

هل ما زلتَ تقرأ نزار كي تعلمَك حروفُه جنونَ الحب
ولكي تروّضَ كلماتُه جموحَ شرقيتِك
ولكي تهدي عينيَّ قصيدةً لم يُكتب مثلُها

ولكي تردَّ على رسائلي العاشقةِ بعشقٍ أكبر
ولكي تسافرَ معي إلى مدنِ الخيال
ولكي تراقصَني على أضواءِ الشموع
ولكي تهديَني سوارَ الفُل
وتطوقَ عنقي بطوقِ الياسمين؟

هل ما زلتَ مصاباً بداءِ الفوضى
تجمعُ فناجينَ القهوةِ حولَك بكسل
وتنثر بقايا السجائرِ فوق الأوراق
وتترك الأوراقَ خلفك مهملةً
وتبعثرُ الأشياءَ حولَك بطيش
في انتظار امرأةٍ تعيد ترتيبَك؟

هل ما زلتَ تقف أمام المرآةِ بغرورٍ وتبحرُ في ملامحِ وجهِك
وتحاور المرآةَ صباحاً ومساءً
وتتضخمُ بالوهمِ حين تظن أنك الرجلُ الوحيدُ فوق الكرةِ الأرضية
وأن كلَّ الرجالِ في قلبي قبلَك وهمٌ

وكلُّ الرجالِ في حلمي بعدك وهمٌ
هل ما زلتَ تحتفظ ببعضِ رومانسيتِك وتزور الأطلالَ كالعشاقِ القدامى
وتعبثُ بأوراقِ الورد
تحبُني
لا تحبُني
تحبُني
لا تحبُني
أم أنك فقدتَ ثقتَك بالوردِ منذ زمنٍ؟

هل ما زلتَ تحتفظ بذاكرتِك العاطفية؟
وهل ما زلت تتذكرُ أني أحببتُك بإخلاصٍ وجنون؟
وأني كنتُ أخشى على هذا الجنونِ بجنون
وأن العقلَ كان أكبرَ عدوٍ لإحساسي تجاهك
وأن العقلَ حين طرق باب جنوني الثائر
أهديتُه إحساسيَ الجميل
وأصبحت بعدك امرأةً عاقلةً حدَّ الملل؟

هل ما زلتَ تتذكر رعبي

وذهولَ عينيَّ

وارتعاشةَ يديَّ

عند التطرقِ إلى الغياب

حين كان الغيابُ في علمِ الغيب

وارتجافَ قلبي عند الحديثِ عن احتمالِ الفراق

حين كان الفراقُ مجردَ احتمال؟

هل ما زلت تُلقي قلوبَهنَّ في غياهبِ الجب

وترسل قميصَ الأحلامِ إليهنَّ ملطخاً بدمِ الذئب

وتعود تجرّ قدميك إلى عالمك الخاص

وتخلو بنفسك تبكي امرأةً خانتْك

وصلبتْك فوق بوابةِ الذهول

وعلمتْك الغدرَ والخوف

فخُنتَ بعدها كلَّ نساءِ الأرض؟

هل ما زلتَ تنقّب في رمالِ الحب

تبحث عن مشاعرَ لا تحقُّ لك

وتسرق إحساسَ امرأةٍ ليست لك

ترسمُ معها سماءً بلا شمس

وشمساً بلا نور

وتتجولان تحت شرفاتِ الظلام

وتبحران معاً إلى أعمقِ أعماقِ الخيانة؟

ترى ، هل ما زلت مصراً

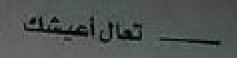
على أنك لا تستحق كلَّ تلك الضجةِ التي أحدثتُها في مدينةِ الحروفِ خلفك!؟ .

ارمِ عليَّ يمينَ الفراق

(أعتقني لوجهِ اللهِ فأنت الكريمُ في قومِك وأنا العزيزةُ في قومي)

ارمِ عليَّ يمينَ الفراق
ازرع بيني وبينك حرمةَ التلاقي
فأنا أعرفُني بغيرِ اليمين لن أفارق
لن أَفطمَ عنك قلمي
لن ألملمَ منك أوراقي !

ارمِ عليَّ يمينَ الفراق
اعتبرني طفلةً صادفتَها بالطريقِ ذاتَ ظلام
فتعلقَت بطرفِ ثوبِك ذاتَ رُعب
واستنجدَت بك ونادتْك : (بابا)
وحين شعرَت معك بالأمان
كبرتْ من أجلِك



واكتملَت أنوثتُها لأجلِك

وعشقتكَ بجنونٍ ونسَتْ أنك كـ (بابا) . . .

ارمِ عليّ يمينَ الفراق

اعتبرني سحابةَ صيفٍ عابرة مرّتك ذاتَ عطش

وظلّلَتك حتى التصقَت بكفّ عشقتكَ

ونسيَت أنها سحابةُ صيفٍ فأخطأت وأمطرَت عليك

ارمِ عليّ يمينَ الفراقِ ولا تتردّد!

وأعلم أني سأتغير هذه الليلةَ كثيراً

وأعلمْ أني سأكبر هذا المساءَ ألفَ سنة

وسيشتعل الثلجُ الأبيضُ في رأسي

وسينال الفراقُ بقسوةٍ مني

وسينغرس سيفُ الختام بي

أعمقَ مما أظن وأتوقع ،

واعلمْ أن صوتي لن يبقى عند البكاءِ صوتي

ولا وجهي سيبقى في المرآةِ هذا المساءَ وجهي !

ارمِ عليّ يمينَ الفراق وامنحني حريتي ،
حررني منك فأنا أحببتُك جداً
لدرجةِ أني ظننتُ أنك الرجلُ الوحيدُ فوق هذه الأرض
لدرجةِ أني صدقتُ أنك حين تغيب أغيب !
لدرجةِ أني فكرتُ أن أهديَك الكونَ في يومِ ميلادِك
لدرجةِ أني كنتُ أرتعش رعباً حين يخطرُ خاطرُ الفراقِ في بالي
لدرجةِ أني انتظرت شروقَ شمسِك على عالمي عمراً بأكمله
لدرجةِ أني سأستهلكُ الكثيرَ من وقتي والكثيرَ من صحتي
كي أستوعبَ فكرةَ رحيلِك !

ارمِ عليَ يمينَ الفراق
فلست مضطرةً لسماعِ حديثِك عنها
ولا الإنصات لتفاصيلِك الخاصة معها
ولا لتمشيطِ جدائلها لك
ولا لإغراقِ حرائرِها بالعبير
ولا لنثرِ الورودِ الندية على سريركما
ولا للوقوفِ خلف غرفتِكما الزجاجية
ومتابعةُ طقوسِ لجوئك العاطفي إليها
وحسابُ عمري الضائع خلف أسوارك !

إرمِ عليَّ يمينَ الفراق
فهذا الخيالُ فوق طاقةِ العاشقةِ بي
وهذا الواقعُ فوقَ طاقةِ المراهقةِ بي
وهذا الرعبُ فوق طاقةِ الطفلةِ بي
وهذا الانكسارُ فوق طاقةِ الشموخِ بي
وهذا الذُلَّ فوق طاقةِ الكرامةِ بي
وهذا العذابُ فوق طاقةِ الإنسانةِ بي !

ارمِ عليَّ يمينَ الفراق
فقد أصبحتُ في زحامِهم حكايةً عامة
يتابعون أنبائي باهتمام كنشرةِ الأخبارِ اليومية
ينصتون إلى طقوسِ أحزاني بفضولٍ كالنشرةِ الجوية
ينتظرون آخرَ أنباءِ الحكايةِ كالصحفِ الصباحية
فمن سيصدقني الآن؟
بعد أن ملأتُ بك الدنيا وحدثتُ عنك الوجود
أني لم ألتقيكَ يوماً
وأني لا أعرف لونَ عينيك ولا ملمس يديك؟



ارمِ عليّ يمينَ الفراق

امنحني لسواكَ على طبقٍ من ذهبٍ وفضة

قدمني له بكامل أنوثتي زخرفني له بالقصائد

زيني له بالورودِ زفّني إليه بكاملِ زينتي

أوصيهِ بي خيراً كما أوصيتُها بك خيراً

وغافلني وأنت تنسحبُ من عالمي

كما تغافلُ الأمُ طفلَها كي لا ألحقَ بك

كي لا أتمسّكَ بثوبِك باكية !

ارمِ عليّ يمينَ الفراقِ

اشرح لي لعبةَ الأيام المخيفة

حدثني عن العمرِ الذي لا ينتظر أحداً

وعن القطارِ الذي إن مضى لا يعود

وبحقي في الحريةِ بعيداً عن زنزانةِ حبك

أقنعني بحاجتي إلى رجلٍ آخَر

يمنح أنوثتي حقَ الأمومة

فجسدي وأعرفُه

لن يخضعَ لسواكَ وقلبي فيه ،

قلبي وأعرفُه

لن يخضعَ لجسدي والنبضُ فيه !

ارمِ عليّ يمينَ الفراق

وضع يدَك على أذني وأنتَ تنطقها

كي لا أسمعَ ارتجافَ صوتِك فأتراجع

وسأضع يدي على عينيك وأنا أستقبلها

كي لا تلمحَ ارتعاشَ دموعي فتتراجع

احميني من لحظاتِ ضعفي

شَجعني على الفراق

حَبّبني في الرحيل

اهمس لي كاذباً :

أن الحياةَ بعيداً عنك أجملُ بكثير

وسأهمس لك كاذبةً : أن الحياةَ خلفك لن تتوقف !

ارمِ عليّ يمينَ الفراقِ

لا ، بل ارمِ عليّ يمينَ الطلاق وارحل ،

فما لا تعرفُه أني عقدتُ قرانَ قلبي على قلبِك

واستخرجتُ لأحلامي شهادةَ ميلادٍ باسمِك

وأني في كل ليلةٍ كنت أردِّدُ بيني وبين نفسي :

أني زوّجتُك قلبي

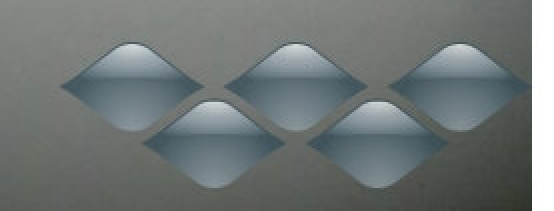
أني زوّجتُك أحلامي

أني زوّجتُك نفسي

فارمِ عليّ يمينَ الفراقِ وامضِ

وأغلق منافذَ الحكايةِ خلفي جيداً

كي لا يأكلَ الذئبُ أطفالي .



لماذا تنازلتَ له عني

(أحببتُك كثيراً كثيراً فلماذا تنازلتَ له عني؟)

غداً إذا ما أمسيتُ له !

وألبسوني الثوبَ الأبيض

وتوّجوني بإكليلِ الزهور

وتقدّمتني عاداتُهم تسبقني بالدفوفِ وبالطبول

وسارت خلفي تقاليدُهم تزفُّني بالزغاريد إليه

وتناثرَت أحلامي تحت أقدامِهم كالموتى

كالجثث

كالضحايا

كالأشلاءِ !

غداً إذا ما أمسيتُ له

وارتديت له الحرائر

والخلاخل

والعقودَ

والخواتمَ

ورقصتُ كالذبيحةِ أمامه

بحزنِ المطر

بجنونِ الغجر

بشموخِ المكابر

بانكسارِ الغرباء!

غداً إذا ما أمسيتُ له

واقترب بالودّ مني

وطوّقت أنامله عنقي

وأخفضتُ رأسي أمامه حزناً وألماً

وبي من حمّى فراقك ما بي

وفضحتني خفقاتُ قلبي

وارتعاشاتُ أطرافي

وبلّلتني دموعي

فهل سيردعه حزني؟

هل سيحتويني برُقيّ العظماء؟

غداً إذا ما أمسيتُ له
وجاءك البشيرُ بالنبأ السعيد
وألقى على عينيك القميصَ الملطخَ بدمِ أحلامي
وضحكتَ في وجه البشير مقهقهاً وساخراً ومهستراً
وبدُك على وجهِك
تتفادى بها صفعةَ الخبر بابتسامةٍ كالكبرياء !

غداً إذا ما أمسيتَ له
وأهدوكَ النبأَ السعيدَ صباحاً
فسارعتَ لتكون أولَ المهنئين
وبالغتَ في التبريكات
وبالغتَ في الأمنيات
وفي الوردِ وفي الودّ
ثم أدَرتَ للنبأ السعيدِ ظهرَكَ كالشيخِ المسن
تقاوم السقوطَ بالانحناء !

غداً إذا ما أمسيتَ له
وعدتَ بإرهاقٍ إلى عالمك

وفتحتَ خزانةَ ملابسك

وتحسستَ هديتي بذهولِك

وانتشر عطري في أجوائِك

وخُيِّل إليك أني على بابِك

وصرختَ كاليتيمِ في عتمةِ ظلامِك :

رحلت أمي

رحلت أختي

رحلت حبيبتي

رحلت التي أهدَتني بجنونِها كلَّ النساء !

غداً إذا ما أمسيتُ له

واغتسلَ بالدمعِ وجهُك

وتراءى لك في ظلمةِ الحنينِ وجهي

وجاءت طفلتُك الصغيرةُ باسمةً

تمدُّ يدَها إلى وجهِك

تتهجّى اسمَك بصعوبةٍ

يُ . . . بُ

نُه

فتذكرني بها

فهذه الطفلةُ كانت لي

أنجبتها لك بلا رحم

وبلا حملٍ وبلا مخاض ،

واللهِ كأني استشعرتها في ليالي الحنينِ بأحشائي !

غداً إذا ما أمسيتُ له

وبكوا في الدفاترِ أطفالي

وانتحبَتْ في الصناديقِ أسراري

ونادَتك الحرائرُ التي خبأتها لك

وبكتكَ أحلامي التي أجّلتها لك

وضاع صوتُ طفلتي بين طياتِ الورق

تناديك : بابا . . بابا . . بابا

وبابا كالذئبِ الجائع

يطارد نعاجَ الغابة بجوعِ الاشتهاء !

غداً إذا ما أمسيتُ له

وعدتُ بعد غيابٍ إلى غرفتي

أناظر سقفَها وأرضَها وأتذكر بغصة

في هذه الزاويةِ كتبتُك

وفي تلك الزاويةِ بكيتُك

وهنا كان انكساري

وهناك كان قلقي

وعلى هذهِ السجادةِ كانت صلاتي

وفي ذاك الركنِ كان دُعائي !

غداً إذا ما أمسيتُ له

ونادى المؤذنُ : الله أكبر ، وقمتُ إلى فرضي

وانحنيت راكعةً وخررتُ ساجدة

وردَّد لساني ما اعتادَه من الدعاءِ لك

وصفعَتني حقيقةُ الفراق

فاستغفرتُ اللهَ على ذكرِك في صلاتي

وبكيتُ ثم بكيت ثم بكيت

حتى بكى البكاءُ على بكائي !



غداً إذا ما أمسيتُ له

وقلبتَ بعدي أوراقَ عمرِك

واستعرضتَ سنواتِ طيشك

ومراحلَ نضجك

وعلاقاتِك

وعشيقاتِك

وصديقاتِك

وحليلاتِك

فتذكر أني أحببتُك كوطني

كأرضي

كعِرضي

كآخرِ قطرةِ ماء

كنقطةِ النورِ الأخيرةِ في الظلماء !

غداً إذا ما أمسيتَ له

وتلفتُ خلفي كي أصافحَ بالنسيانِ أمسي

وبحثتُ عنك كي أختبرَ حجمَ ذاكرتي بك وقوةَ نفسي

وكي ألمحَك كما قالوا وأضحك

فهل سيصدُقُ وعدُهم لقلبي يوماً؟

هل ستصدقُ نبوءتُهم؟

أحقاً ستصبح ذكرى؟

أحقاً سأضحكُ إذا ما التفتُّ يوماً ورائي؟



إلى متى

إلى متى يا سيدي أبقى هنا؟
أقف فوق قارعةِ الحلم بانتظارِك
أحدّق في وجوهِ القادمين بألم
وأحصي عددَ الراحلين بندم
أجمعُ البقايا خلفهم وأصنعُ لي من بقاياهم مدينةً حزينة
وأرسمُك فوق جدرانِ المدينةِ وأناديك ولا تأتي !

إلى متى يا سيدي أبقى هنا؟
أشعلُ الليلَ بثقابِ الحزنِ كلَّ ليلة
وأجلس حول نارِ الحنينِ وحدي
أمزق أجملَ الأيامِ من دفترِ عمري
وألقي بها في نارِ الانتظار
وأطاردُ الدخانَ المتصاعدَ من احتراقِ أيامي
وأحاول بغباءٍ أن أمسكَ طرفَ الدخان

كي أمضغ الوقت ولا تأتي !

إلى متى يا سيدي أبقى هُنا؟

أعللُ غيابَك للصغار

وأطهو الحجارةَ فوق النار

وأسرد على جوعِهم حكايةَ قدومِك الشهيّ

فتنتهي الحكاية

ويغفو الصغارُ فوق صدر الأمل

وتنضج الحجارةُ فوق النار ولا تأتي !

إلى متى يا سيدِي أبقى هُنا؟

أستقبلُ الليلَ بلهفةِ العائدين

وأمشّط ضفائرَ المساء بأناملي

وأمسحُ جبينَ الأشواقِ بيدي

وأجفف عرقَ الحنينِ اللاهثِ خلف بقاياك

وأسكب قهوةَ العمر في فنجانِ الانتظارِ ولا تأتي !

إلى متى يا سيدي أبقى هنا؟

وتبقى أحلامي حُبلى منك

هدهُد سُليمان

(أين لي هذا المساء بهُدهد سُليمان يأتيني منك
بنبأ عظيم؟)

لا أعلم من منهما غدر بي هذا المساءَ فأيقظ الآخرَ
وطار به على غفلةٍ مني إليك
هل أيقظ قلبي ذاكرتي؟ أم أيقظتْ ذاكرتي قلبي؟
فوجدتني أقف على بابِ حكايتِك المشمَع بالفراق
وأستند إلى جدارِها المبللِ بدمعِ الغياب
وأتساءل ببراءة: ما أخبارُها الآن معك؟.

هل حفظَت وصاياي بك؟ أم أنها ضيعَتها وضيعَتك؟
هل أحسنَت استقبالَ الشتاءِ معك؟
فدثرَت قدميك بالجواربِ الصوفية
كي لا يتسللَ بردُ الشتاء من قدميك إليك؟
وطوقَت عنقَك بكوفيةٍ شتوية

كي لا يؤذي الهواءُ الباردُ صدرَك؟

أم أنها تركتْك على بابِ الشتاء كالطائرِ الوحيد

ترتعش برداً ووحدةً وفراغاً؟ .

هل سهرَت ليلَ الشتاءِ معك؟

كي تسقيكَ شراباً دافئاً وأنت تزدحم بين كتبِك وأوراقِك؟

ومسحَت رأسَك بأمومةٍ وهي توصيك

ألا ينالَ السهرُ من عينيك أكثر؟

وجلسَت في المقعد المقابلِ لك

تقاوم النومَ عيناها سهراً على راحتِك؟

أم أنها خلَّفَتك وراءَها بإهمال

وغطَّت في نوم عميقٍ عميييييق

وبردُ السهرِ يأكلُ أطرافَ صحتِك؟

هل لاعبَت الطفلَ بك؟

فقلَّمت أظافرَ يديك وقدميك

ومسحَت بيديها على وجهِك

ورسمَت بإصبعِها عينيك وأنفَك وشفتيك وحاجبيك

وكتبت على جبينِك بأناملِها
أحبُك ، أحبك ، أحبك؟
أم أنها ما أذاقَتك يوماً طعمَ حمى الشوق
في قلب امرأةٍ عاشقة
ولا طارَت بك إلى مدنٍ من العشقِ الجنون؟

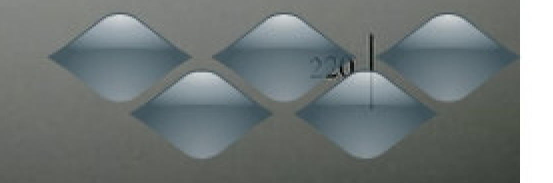
هل دللت الرجلَ بك؟
فجلست عند قدميك بالماءِ الدافئ والملح
ومشطَت شعرَك قبل كل خروج
ووقفت خلفك بالمنشفةِ بعد كل وضوء
وأحرقت قطعَ العودِ تحت ردائِك قبل كل صلاة
وودعتك بدعاءٍ واستقبلتك بدعاء؟
أم أنها لم تتقن في حياتِك يوماً
سوى دورِ زوجةٍ شرقيةٍ تقليدية روتينية؟

هل أرضَت غرورَ المبدعِ بك؟
فصفقت لنزفِك طويلاً
وطوقت قصيدتَك الجديدة بإطارٍ جميل

وفاجأتك بوضعِه عند سريرِك؟
أم أنه بينها وبينَ قصائدِك ألفُ مدينةٍ وألفُ مسافةٍ وألفُ عام
وألفُ ألفُ غربةٍ وغربة؟ .

هل أجادت مراقصةَ العاشقِ بك؟
فأبدَت زينتَها لك عند كل شوق
وغنت لك أغانيَ الشوقِ عند كل لقاء
وشيّدت للعاطفة في أعماقِك مدناً وأوطاناً؟
أم تركتك وحيداً تجوب مدنَ الحكايات
بحثاً عن حكايةٍ دافئةٍ تملأ فراغَ العاطفةِ بك؟ .

هل مارسَت دورَ الأُم في حياتِك؟
فشعرت بحزنِك قبل حزنِك
وحزنت لألمِك قبل ألمِك
والتقطَت دموعَك بكفَّيها
كحباتِ المطر المتساقطة من سماءِ عينيك
أم أن أمومتَها الأخرى قد سرقتها من ممارسةِ أمومتِها بحضورِك؟



هل احتفظت معك بيومِ ميلادِك؟

وأمسكت يديك وطارَت بك إلى البعيد

لتلدَكَ مرةً أخرى بميلادٍ جديد وشهادةٍ جديدة وروحٍ جديدة؟

أم أن ذكرى ميلادِك مرّتها مرورَ الكرام

فأهملتك وآلمتكَ بلا قصدٍ منها؟

هل اعتادت أن تملأَ عالَمك بالبخور كلَّ مساء؟

وتضع على سريرِك وردةً حمراء

وتجلس في انتظارِك كأميراتِ الحكايا

تخبئ لك في ضفائرِها عطراً تعشقه

أم أنك تأوي إلى فراشِك كلَّ ليلةٍ وحيداً غريباً

لا أحدَ معك على الرغم من وجودِها .



غداً سأزف إليه

(أحياناً وفي الغالب أقدارُنا لا تشبه أحلامَنا)

أتدري؟

حلمتُ بك كثيراً

كانت أحلامي بك

كالأمطار حين تغيثني

كالرحمة حين تأتيني

حلمتُ بطفلٍ منك يناديني : ماما

وتماديت بخيالي

حتى سمعته يناديني !

غداً سأُزَفُ إليه

غداً سأقف بكاملِ زينتي أمام عينيه

غداً سيترك طوقَه الماسيّ في عنقي

غداً سأترك خاتمي في خنصر يديه

غداً سيناصفني قطعَ الحلوى

ويطبع قبلتَه على جبيني !

غداً سأُزَفُ إليه

غداً سأغمض عينيّ في حضرته خجلاً

غداً سترتجف يداي منه رهبةً

غداً سأرتعش كالريشةِ تحت مساءٍ لا يحتويك

غداً سأموت ألفَ مرة تحت مقصلةِ الحنين !

غداً سأزفُ إليه

غداً سأرتدي ألفَ قناع لديه

غداً سأترك عطرَ يديّ على يديه

غداً سأغمض عينيّ بقوة

وأردّد : هو أنت ، هو أنت ، هو أنت

كي لا أموتَ ألفاً حين يحتويني !

غداً سأُزَفُ إليه

غداً سأقرأ كلَّ ما نزفتُه بك عليه

غداً سأقصُه على بقا...

على رسائلِك وعلى هداياك
غداً سيدركني معه الصباح
غداً ستموت في حضرته سنيني !

غداً سأزَفُ إليه
غداً سأنثرُ تحت قدميهِ أوراقي
غداً سأراقصُه على أمسكَ رقصةَ الاحتراق
غداً سأقاومُ في حضرته ارتباكي واختناقي
غداً سأسدلُ على حكايتِك أثوابَ النهاية
غداً سيبكيك الليلُ في شراييني !

غداً سأزَفُ إليهِ
غداً سيأخذُك خيالُك إلى ليلي وليلاه
غداً ستتخيّل كيف تحضن يديَ يداه
وكيف أُنثاكَ أمست أنثاه
وكيف بجنون عشقهِ سيراقصني
وستقف أمام بوابة حكايتنا القديمة
وستضرب رأسَك بالجدار غيرةً كالمجانين !

غداً سأزفُ إليه

غداً سيأتيك الليلُ بلهب الجحيم

غداً سيصبح المساءُ ليس المساء الذي تعرفه

ولا الوجوهُ التي ألِفتَها هي الوجوه

غداً سيكويك خيالُك وليلي معه

كما كان خيالي وليلُك معها يكويني !

غداً سأزفُ إليه

غداً سيكرهُك قلبُك

غداً سترفضك نفسُك

وأنت تتسلّلُ إلى أطلالي

وتقرأ (أوصيكِ به خيراً)

وتنظر إليها ذاكراً وصاياي

وتفرّ منها إلى زوايا وحدتِك وتبكيني !

غداً سأزفُ إليه

غداً ستعود إلى ما زففتُه تحت قدميك

غداً سيصبح الكونُ أضيقَ من القبر عليك

غداً ستقرأُ «أحبكَ مع الاعتذار إليها»

غداً ستقرأُني وتقرأ وتقرأ

غداً ستمزقك حروفي خلفي كالسكاكين !

غداً سأُزَفُ إليه

غداً ستعلم أيُ عذراء عشقَتك في داخلي

غداً ستكتشف لماذا لم تكن أُنثاك تجيد التجاوب

غداً ستدرك أنها لم تكن ملطخةً بالتجارب

لم تكن تتفنن بالكيد كالصبايا

لم تكن تمتهنُ الخبثَ كالبغايا

وأنها كانت معك بطهرِ المصلّين !

غداً سأزفُ إليه

غداً ستكتشف أيُ النساء كنت معك

وأيُ الأحاسيسِ كانت تسافر بي إليك

غداً ستدرك كم كان شوقي إليك عظيماً

وأنا أردّدُ على مسامعِك وأنت تغلق دوائرك عليّ

إني أخاف اللهَ رب العالمين !

غداً سأُزفُ إليه

غداً لن أخبرَه أنك كنتَ لي فرحةَ العمر

وأني تمنيتُك في جنةِ الرحمن

وأني وهبتُك يوماً آياتٍ من القرآن

وأني حلمتُ بك بما يباحُ وما لا يباح

وأن حلماً معك كان يميتني

وحلماً بك كان يحييني !

غداً سأُزفُ إليه

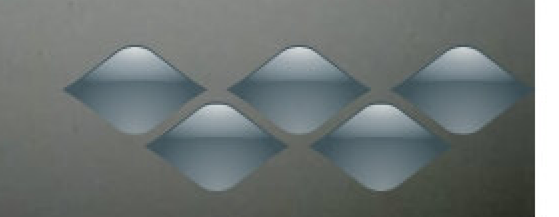
غداً ستأتي ليلَهنَ مرتعشاً باكياً

غداً سيتلُون حروفي على قلبِك ليطمئنَ قلبُك

غداً ستبقى خلفي الوصايا كالمنايا

وستدركُ لماذا اختنقَ ليلةَ زفافي عشاقُ الأرض

ولماذا بكى بيدِك طوقُ الياسمين



بعضي

(هنا بعضي . . . الذي يتوق إليك كثيراً)

منذ أن فقدتكَ

وأنا أتنقل من فَقدٍ إلى فَقد

ومن خواءٍ إلى خواء

ومن فراغٍ إلى فراغ

ومن محاولةٍ إلى محاولة

جربت بُعدَكَ كي أنسى كلَّ شيء

إلا حبَّ رجلٍ سواك . .

وربما كتبت لك كثيراً لكني لم أقل لك الكثير

لم تمهلني ظروفي وظروفُك

لقولِ الكثير الذي كنت أودُّ قولَه لك يوماً

فقد جئتني مسرعاً وغادرتني مسرعاً

كحلم المحمومِ ، كغفوةِ المنهكِ ، كغمضةِ العينِ ، كرمشةِ الهدب

فكان كلُّ ما أخبئه لك من حديثٍ يتلاشى ويتطايرُ كالعهنِ المنفوش

تحت رياحِ فرحةِ الصدفَة التي جاءت بك إليّ !

وبرغم اختلافِ البطونِ التي حملتنا

لكنني كنت أشعر دائماً أنك توأمي الذي لعب معي في البطنِ ذاتِها

وتناوب على حبلِ المشيمةِ معي

فتنفس معي وأكل وشرب معي

وخرج للحياة معي . . .

لذا أحببتك كثيراً . .

وبرغم صمتِك أمامَ تيار مشاعري

وبرغم هدوئِك أمامَ طوفانِ نزفي

وبرغم صمودِك أمامَ بُركانِ حرفي

لم يساورني الشكّ يوماً بوجود قلبِك بين أضلعِك

ولم أشكّ لحظةً في كونِك إنساناً لا يمتّ للتماثيلِ بصلة

فكنت أعلل صمتَك بخذلانِ ظروفِك لك

بإرهاقِك

بإنهاكِك

بالإنس

بالجِن

بكلِّ الأشياءِ البريئةِ الأخرى

وتفننتُ باتهامِ الذنبِ وقذفته بدمِ قلبي أكثرَ من مرة

لكنني لم أتطرَق يوماً لخذلانِك لي

كنت أُجمّلك حتى بيني وبين نفسي

وكان لي معك في خيالي عالمي الخاص بك

بك وحدَك

فكنت أتساءل دائماً

متى سأمسك يدَك؟

متى سألاعب أناملَك؟

متى سأدلل خصلات شعرِك؟

متى سأهديك وسادتي الأخرى؟

متى سأملأ بك الجانبَ الآخرَ من سريري؟

كي لا يرعبني ظلامُ المساء وصوتُ الهواء خلف نافذتي !

وفي المرحلةِ الإعدادية
سمعت رفيقاتي يتهامسن عن أسرارِهنّ بتكتّم
ويتضاحكنَ بخبثِ الأطفالِ على عتبةِ البلوغ
كنت أصغرَ منهنّ سناً فكنت أنزوي بعيداً عنهن
فحديثُهنَّ كان يخجل طفولَتي
وحين لمحت الطفولةَ تلوح لي مودعةً أخفيت الأمرَ عن الجميع
ورحبتُ بمراهقتي بتكتّم حاد
وأنت كنتَ في حياتي سراً كسرّ المراهقةِ والبلوغ
أخفيتك عن الجميع حتى أقربِهنَ إلي !

وحين كنتُ في المرحلةِ الثانوية
سمعت صديقاتي يتفاخرنَ بحكاياتِهنّ الغرامية
بصور ، برسائلَ ، بقصائدَ فرسانِهنَ
لم يكن لديَ صديق
لأن أمي كانت تلقنني دائماً
يا ابنتي من يحفظ اللهَ يحفظه
وتكرر على قلبي (احفظ الله يحفظك)
ربما لهذا ضاعت صديقاتي على دروبِ الحياةِ وما ضعت أنا !

وفي المرحلةِ الجامعية ..

أعجبت بأستاذي الجامعيّ

كان يفصل بيني وبينَه أربعون عاماً وأكثر

كانت صديقاتي يعلقن على تغيرِ لونِ وجهي عند رؤيته

وارتعاشِ أطرافِ يديَّ خجلاً منه

وحدي كنت أعلم لماذا أعجبت بذلك الرجلِ المسنّ في ذلك العمر

ولماذا خفق قلبُ ربيعي لخريفهِ

لم يكن ذلك الشعورُ حباً

كنت أرى فيه صورةَ أبي ..

وحين التقيتُك قاومت دخولَك عالمي قدرَ استطاعتي

وتعلم وحدَك كم قاومت

كنت أتهرب من رجلٍ جاء في غيرِ أوانِه

كنت أقاوم طوفانَ رجلٍ جاءني بكل حاجتِه للحب

كنت أكره أن أكونَ ذلك الوقتَ الضائع في حياةِ رجلٍ منهَك

كنت أرفض أن أكون وجبةً سريعة على الطريقِ السريع

باختصار، كنت أجنب نفسي عناءَ حكايةِ حبٍ فاشلة !



ومع كل هذا الحذرِ أحببتُك

أتعلم إلى أيِّ درجةٍ أحببتُك؟

لدرجة أني بعد كلّ اطمئنانٍ عليك

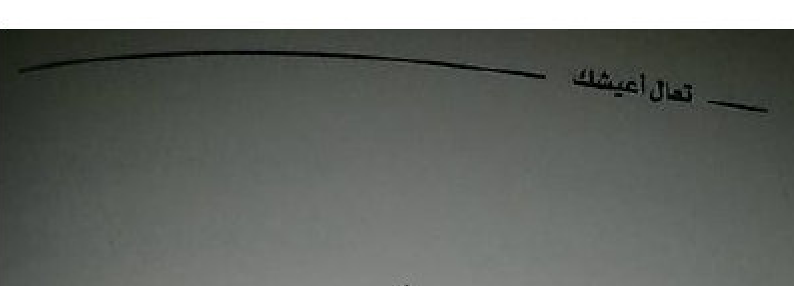
كنت أسجد للهِ شاكرة

وبعد كل هاتفٍ معك

كنت أسجد للهِ شاكرة

لا تندهش!

نعم، فعلتها ولن تفعلَها امرأةٌ بعدي !



مدينةُ الحزن

(لطالما استشعرتُ أن الحزنَ أنت)

يقال يا سيدي إن للحزنِ مدينةً لونُها أسودُ لا يسكنها سوى الأنقياء

وأنه يسكن تلك القلوبَ المفجوعة

وأنه يمتص رحيقَ العمر

وأنه حين يدخل مدنَ الأحلامِ يدمرها

وأنَّ الشطآنَ التي يمر بها الحزنُ تشتعل بالنار

فما هو الحزنُ الذي يتحدثون عنه؟

الحزنُ يا سيدي

هو أن ألتقيك في زحمةِ العمر

وأنسجَ معك أجملَ حكايةِ حب

نعيش تفاصيلَها وطقوسَها

ونحلم بغدٍ أفضل



ثم تنتهي الحكايةُ بمأساة !

الحزنُ يا سيدي

هو أن أفتح لك مدنَ أحلامي

وأسكنَ معك في قصرٍ من الخيال

وأنجب منك في خيالي طفلاً وطفلة

ثم ينهار القصرُ على رأسي

ويموت طفلايَ أمامي !

الحزنُ يا سيدي

هو أن أخبئَ عمري في قلبِك

وأملأَ حقائبَك بأيامي

وأضعَ سعادَتي في عينيك

ثم ألوح لك مودعة

لا حولَ لي ولا قوة !

الحزنُ يا سيدي

أن تصبحَ مع الأيام

عينيَ اللتين أرى بهما

وهوائي الذي أتنفسه

ودمي الذي أعيش به

ثم أنزفك عند الرحيلِ دفعةً واحدة !

الحزنُ يا سيدي

هو أن أُدمنَ حبَك وأدمنَ صوتَك

وأدمنَ عطرَك وأدمنَ وجودَك معي

ثم أفتحُ عينيّ على غيابِك !

الحزنُ يا سيدي

أن تتحققَ بعد حلم

وأن ألتقيكَ بعدَ أمنية

وأن تأتي بعد انتظار

وأن أجدَك بعد بحث

ثم أستيقظ على زلزالِ رحيلك !

الحزنُ يا سيدي

أن أتعلمَ الطيرانَ فلا أصِلُك

وأن أفتحَ الدفاترَ فلا أجدُك

وأن أحفرَ الأرضَ فلا أجدُك

وأن أقطعَ البحرَ فلا أجدُك

وأن أخترعَ البقاءَ فلا ألتقيك !

الحزنُ يا سيدي

أن تفارقَ ولا تفارق

فتصمت ويبقى صوتُك في أذنيّ

وتغيب وتبقى صورتُك في عينيّ

وترحل وتبقى أنفاسُك في قلبي

وتختفي ويبقى طيفُك خلفَك يمزّقُني !

الحزنُ يا سيدي

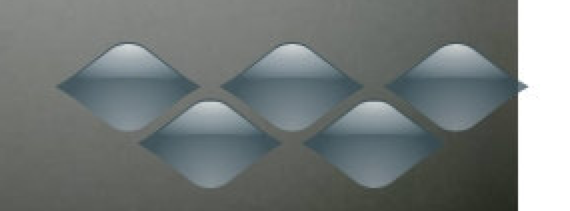
أن أغمضَ عينيّ فأراك

وأن أخلو بنفسي فأراك

وأن أقفَ أمام المرآةِ فأراك

وأن ألمحَ هداياك فأراك

وأن أقرأَ رسائلَك فأراك !



الحزنُ يا سيدي
أن أبحثَ عن عطرِك في ضفائري
وأن أبحثَ عن عطرِك في يدي
وأن أبحثَ عن عطرِك في أحلامي
وأن أبحثَ عن عطرِك في الطرقات
وأن أبحثَ عن عطرِك في الجدران
فلا أشمُّ سوى رائحةَ الغياب !

الحزنُ يا سيدي
أن أجمعَ البقايا خلفك
وأن أرسمَ وجهَك في سقفِ غرفتي
وأن أحاورك كل ليلةٍ كالمجانين
وأن أشدَّ الرحالَ إليك عند الحنين
وأن أعودَ إلى سريري في آخر الليلِ فأبكيك !

الحزنُ يا سيدي
أن يأتي العيدُ وأنا وحدي
وأن يأتيَ الربيعُ وأنا وحدي

وأن تهطلَ الأمطارُ وأنا وحدي

وأن يطرقَ الحنينُ بابي وأنا وحدي

وأن يمضي بي أجملُ العمر وأنا وحدي !

الحزن يا سيدي

أن أراكَ صدفةً

وأن يجمعني بك الطريقُ ذاتَ يوم

فأراكَ بصحبَةِ سواي ويدُكَ في يدِها

تنظر إليَّ فلا تعرفني

وعمري خلفك يناديك فلا تسمعه !

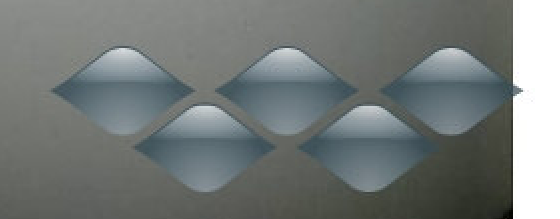
الحزنُ يا سيدي

أنْ أكتبَ فلا يصلُك حرفي

وأن أصرخَ فلا يصلُكَ صوتي

وأن ألفظَ أنفاسي فلا أراكَ

وأن أموتَ فيصلُكَ النبأُ كالغرباء !



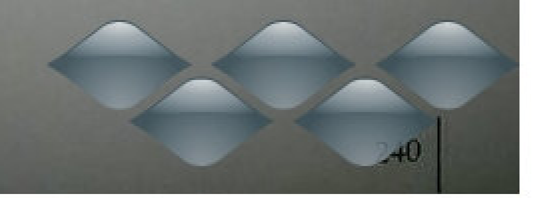
مقعدٌ في القلب

(في قلبِك مقعدٌ واحد فأغمض عينيك وتساءل

بصدق : من يجلس فوق ذلك المقعد؟)

هل تدركُ ماذا يعني أن يكونَ في القلبِ مقعدٌ واحد؟
وما أهميةُ ذلك المقعدِ في حياةِ امرأةٍ وحيدة؟
وماذا يعني أن تمرَّ قوافلُ الأحلامِ ويمرَّ القادمون والراحلون ويبقى ذلك المقعد محجوزاً لرجلٍ واحدٍ دون سواه؟

وكنتَ يا سيدي الطالبَ الوحيد في مدرسةِ القلبِ
تجلس فوق ذلك المقعدِ الوحيد
وكنتُ أشرح لك درسَ إحساسي بدقةٍ متناهية
وكنتُ بيني وبين نفسي أتمنى ألا يدقَّ جرسُ الحصةِ الأخيرة أبداً .



نعم ، كان في الصف يا سيدي طالبٌ واحد

كنت أشرحُ له الدرسَ بشكلٍ خاطئ

وكنت أتمنى ألا يصلَ إلى الإجابةِ الصحيحة . .

كنت لا أريدُه أن ينجحَ كي لا ينتقلَ إلى الفصلِ الآخَر

كي لا يغادرني . . .كي لا يُبقي المقعدَ أمامي خالياً .

لكن الطالبَ الوحيد ،

ذلك الجالسُ فوق مقعدِ القلبِ كان أذكى من الرسوب

وكان أذكى من إعادةِ السنةِ بي

كان أجملَ من أن يبقى بلا رحيل

كان أروعَ من أن يطيل البقاءَ أمام عينيّ

كان أغلى من ألا يتلاشى وينتهي كالحلم .

ولأن الوقتَ كالسيف !

ولأن سيفَ الحلمِ كان أضعفَ من الصمود

ولأن الأماني كانت أنقى من فقاعاتِ الماء

ولأن عمرَ الفرحِ كان أقصرَ من مرور حلم

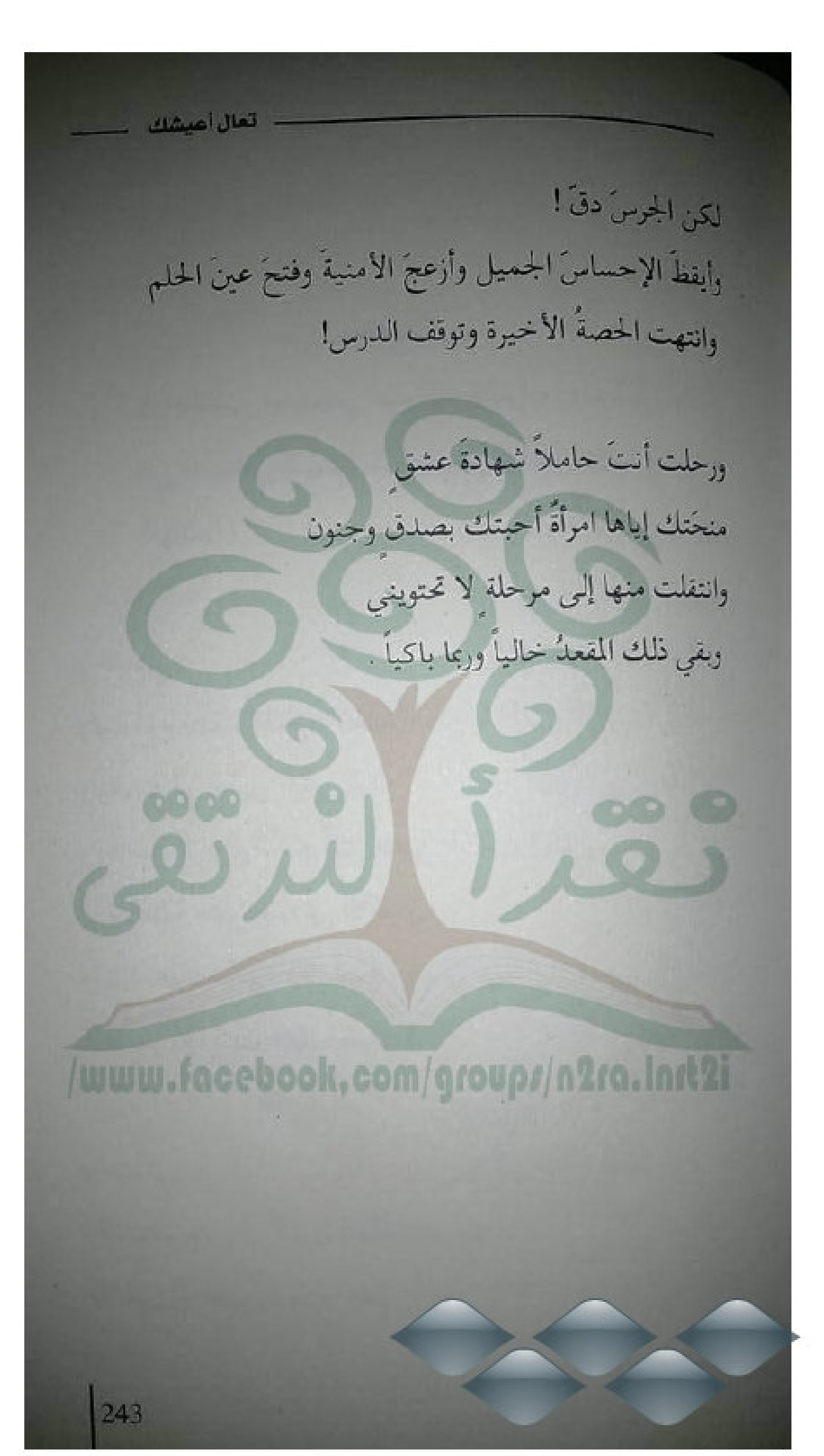
ولأني كنت أخشى أن تتلاشى وتغيبَ بغمضة عين

فقد كنت أبقى أمامَك مفتوحة العينين
أثرثر بك بيني وبين نفسي
وأستذكرك وأراجعُك كدروسي المدرسية
وأحفظ تفاصيلَك الجميلة .

وكنت في كل يوم ألقنك درساً في الحب
وآخرَ في الوفاءِ وثالثاً في الشوقِ ورابعاً في الحنين
وأعلمك كيف تكتبني فوق ورقةِ الإملاءِ
وكيف تحفظني عن ظهرِ قلب
وكيف . .كيف حين أغيب . .تغيب أنت .

وكان أشدُ ما يرعبني هو أن يفاجئني جرسُ الحصةِ الأخيرة
معلناً انتهاءَ حلمي معك وبك
فكنت أتحايل على الوقت
وأتحايلُ على الساعاتِ وأتحايل على الدقائقِ
وكم تمنيتُ أن ينساني الوقتُ معك

فلا يُدق جرسٌ ولا يُطرق ناقوس



لكنَ الجرسَ دقَ !

وأيقظَ الإحساسَ الجميل وأزعجَ الأمنيةَ وفتحَ عينَ الحلم

وانتهت الحصةُ الأخيرة وتوقف الدرس!

ورحلت أنتَ حاملاً شهادةَ عشقٍ

منحَتك إياها امرأةٌ أحبتك بصدقٍ وجنون

وانتقلت منها إلى مرحلةٍ لا تحتويني

وبقي ذلك المقعدُ خالياً وربما باكياً .

وحشتني

(وحشتني ووحشني صوتُك كثيراً . . ولم أكره في حياتي شيئاً كاختراعِ كاشفِ الأرقامِ الهاتفية)

وحشتني

ولو يباع وجهُك كقناعٍ لاشتريته بما أملِك !

وارتديته في ليالي الحنينِ إليك

وجلست أمامَ المرآةِ أتخيلُك أمامي وأتحدث إليك

أو سأضعه على وسادتي الأخرى

وأسرد عليه حكايةً قبل النوم

كما سردتُها ذاتَ هاتف عليكِ !

وحشتني . . .

ولا تنتظر مني أن أموتَ واقفةً كشجرة

فلا عودي غصنُ شجرةٍ جافة

ولا قدماي عالقتان في الأرض

كجذوع شجرةٍ قديمة !

وحشتني . . .

ولم أغلق عليك أبوابي

ولم أصرخ بك : هيتَ لك

ومع هذا قُدّ ثوبُك من دُبرٍ!

لم أقدّه لرغبةٍ شيطانية !

أنا فقط كنت أقدّه شوقاً لرؤية وجهِك

وأنت تدير لي ظهرَك راحلاً !

وحشتني . . .

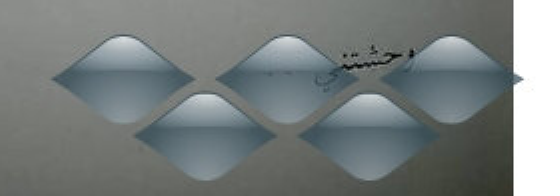
ولم تكن في حياتي لعبةَ شطرنج

أنهيها بكِشْ مَلِكْ !

ولا أنت في حياتي لعبةَ ورقٍ

أغش بها رفاقي وأفوز بك !

وحشتني



فمن قال لك أني كنت بك من الزاهدين

واللهِ بي إليك من الشوقِ ما لا يعلمه إلا الله

لكن معاناتي الحقيقيةَ معك

أني حينَ أحببتك جعلتُ اللهَ ثالثَنا ..

وليس الشيطان !

وحشتني ..

وحلمت بك أكثرَ من مرة

كنتَ معي وحدِي لي وحدي !

ولم أتجرأ أن أمدّ لك يدي

كنت أنظر إليك بعمق

كنت لا أرمش عينيّ وأنا أنظر إليك

كنت أعلم أني معك في حلم

وأخشى إن أغمضتهما أستيقظُ أنا وتختفي أنت !

وحشتني ..

وعلمني الشوقُ إليك البكاءَ سراً

فكلما اشتقت إليك استترتُ وبكيت

خشيةَ أن يلمحوا أدمعي
ويسألوني ما بي فتكسرني الإجابة !

وحشتني ...
فإن كان صوتُ الحمامِ الهديل
وصوتُ الأشجارِ الحفيف
وصوتُ الماءِ الخرير
وصوتُ الرياحِ الصَرير
فصوتُ الحنينِ الأنين !
فكلّما مزقني إليك الحنين
انطلق من قلبي صوتُ أنينٍ خافت كصوتِ روحٍ تحتضر بهدوء !

وحشتني ..
ولن تكتبَ بك امرأةٌ بعدي كما كتبت
فكلّما ستقرأ لإحداهنّ ستهمس لنفسِك
هذا الحرفُ أعرفه
وهذه الكلمةُ زارتني يوماً
وهذا السطرُ قد مرّ بي

وهذهِ الفقرةُ أحفظها

وهذه الفكرةُ لها

فكلُّ كتاباتِهنّ بك بعدي نسخٌ مشوهة

وأعلم أنك تعلم !

وحشتني . .

وجاوزتُ بك حبَّ المجنونِ ليلاه

ومررتُ دارَك والناسُ نيام

لكني لم أمرّ الدارَ بغيرِ حاجة

مررتها بحاجةِ التنفس

من اختناق غيابِك !

وحشتني . .

وفي كلّ حكاياتِ الحب

تغمض العاشقةُ عينيها

وتعد : واحد ، اثنان ، ثلاثة

وتفتح عينيها لترى حبيبَها أمامها

إلا أنا !

فلو أحصيتُ كلَّ أعدادِ العالم

ولو أغمضت عينيَّ ما تبقى لي من عمر

ثم فتحتهما فلن أراك يوماً أمامي

وحشتني . . .

وأنا أغادرُك وأمضي

لن أترك لكَ فَردةَ حذائي الذهبي

على سلّمِ ظروفِك

ولن أتصرفَ معك بغباءِ سندريلا

في زمنٍ تشابهت وتطابقت فيه مقاساتُ الأحذية !

وحشتني . .

وكلُّ أحلامي بكَ

كانت طاهرةً جميلةً نقية

كلعبِ طفولتي البريئة

فأنا لم أتجرأ أن ألمسَك

أو أقتربَ منك أو أقبّلَك

أو أحضنَك حتى خيالاً !

وحشتني . .

واشتقت لصوتِك كثيراً

فإذا ناداني اللهُ قبلَك

وسبقتك إلى الجنةِ برحمتِه

فسأنتظرُك عند اللهِ فلا تتأخر ،

تَعال وحدَك ولا تأتِ بصحبةِ امرأةٍ سواي !

تجرّد من نساءِ الأرضِ جميعِهنّ

وكن هناكَ لي وحدي . . كن هناكَ لي وحدي!

ألا أستحق ذلك؟

وقد أحببتُك أكثرَ منهنّ ومن الناسِ أجمعين !

اذكرني بخير

(إذا تلفتَ حولَك يوماً وشعرتَ بالوحدةِ تتسرب
إلى عالمِك ولم تلمح قلبيَ المحبَ يتبعك كظلّك)

اذكرني بخير ،
إذا أغمضتَ عينيك على الحزنِ يوماً ورأيتني كحلمِ ليلِ دافئ
ولمحتني أهفو في الحلمِ كالأم إليك أسألك : أنتَ بخير؟

اذكرني بخير
إذا زرتَ وطني يوماً وسرتَ في طرقاتِه بصحبةِ سواي
وأيقظَت بك الذاكرةُ الحنينَ إلى فتاةٍ هامَت بك عشقاً !

اذكرني بخير
إذا قرأتَ قديمي بك وأيقنتَ بعد الأوان ألا امرأةً ستكتبُك كما
كتبتك . .
وألا امرأةً ستبكيك كما بكيتك !

اذكرني بخير
إذا جاء يومُ ميلادِك ولم تسابق المجنونةُ بك الأرواحَ إليك
حاملةً هداياها المتواضعة كي تكون أولَ من يهمس لك: كلُّ
عامٍ وأنت حبيبي.

اذكرني بخير
إذا وقفتَ أمامَ المرآةِ مساءً وشممتَ عطريَ المفضلَ الذي
أوصيتُك أن تذكرَني به
ثم خطوتَ نحو امرأةٍ لا تشبهني وعالمٍ لا يحتويني!

اذكرني بخير
إذا عبثتَ بقديمِ مسجاتِك ذاتَ فراغ وقرأتَ لهفتي وقلقي عند
الغيابِ عليك
ولمحتَ رسالةً أسألك بها: هل أنت بخير؟

اذكرني بخير،
إذا أحببتَ بعدي غيري ولم تجد لديها جنوني ولا هذياني
المحمومَ بك
ولا غيرَتي المجنونةَ عليك

اذكرني بخير ،

إذا ضاق هذا الكونُ عليك وتساقطت الأقنعةُ أمامَ عينيك

وافتقدتَ إخلاصَ دعائي في ظهرِ الغيبِ إليك !

اذكرني بخير ،

إذا قارنتَ يوماً بيني وبينَها وأرعبك الفرقُ بين حجمِك لديَّ ولديها

وأدركت ضخامة قسوةِ الزمانِ بفقدِك لمثلي !

اذكرني بخير ،

إذا أخبروك أني بكيتك ليلةَ زفافي بحرقةٍ وأني أمسيت لسواك مرغمة

وأني أطلقت على طفلي الأولَ اسمَك !

اذكرني بخير ،

إذا جمعني الطريقُ بك يوماً وأنا بصحبتِه وأنت بصحبتها

وفي قلبك حنين صامت .. وفي قلبي نيرانٌ لا يعلمها إلا خالقُ النار !

اذكرني بخير ،
إذا بحثت عني ولم تجدني وناديتَ في زمنِ الغدرِ إخلاصي
واشتقت في زمنِ العهرِ طهارتي !

اذكرني بخير ،
إذا تذكرتَ يوماً سياطَك وتحمُّلي ، قسوتَك وحناني . .
برودَك واحتراقي ، صمودَك وانهياري !

اذكرني بخير ،
إذا لم تمنحك الأيامُ قلباً كقلبي وحباً كحبي . .وتكررَت في
حياتِك كلُّ الأشياءِ إلا أنا !

اذكرني بخير ،
إذا مررتَ من هنا يوماً وتعرقلتَ بإحساسِ امرأةٍ تدعى أنا . .
واستيقظ بعد موتِ الحكايةِ ورحيلي قلبُك الميتُ بك !



هل ستأخذُك مني؟

(أخبروني أنك تحبها وبعضُ الأنباءِ خنجرٌ)

أحقاً ستأخذُك مني؟
أحقاً ستكتب عنها
مثلما كنت تكتبُ عني
أحقاً ستبوح لها بسرّي معك
وأنك، وأني؟

أحقاً ستفتح لها ذراعيك
وتغني لها كما كنتَ لي تغني
أحقاً ستطويني كالدفاترِ القديمة
وكأني ما كنتُ لك يوماً
غاية التمني؟

*

فهل ستحبك بخُرافةٍ مثلي؟

هل ستسجد لله شكراً لأنك من بين رجالِ الأرض كنت حبيبَها؟

هل ستنبت لها أجنحةٌ حين تسمع صوتَك . . وتتحول إلى عصفورةٍ صغيرةٍ تفرّ من زحامِهم

وتطير بصوتِك بعيداً عن عالمِهم

وكأن صوتَك فرحةُ عمرِها التي لن تتكرر؟

هل ستقف فوق شاطئِ البحرِ في الصباحِ الباكر

وتنظر إلى البعيدِ وفي داخلِها عاشقةٌ مجنونة

تتساءلُ بصوتِ الحلم :

ماذا لو رسَتْ سفينةُ نوح الآن

وكنت أنت فوق ظهرِ السفينة

ومددْتَ لها يدَكَ كي تكونَ نصفَكَ الآخَر فوق السفينة؟ .

هل ستتمنى أن تكونَ بائعةَ الكبريت

فتمرُ على ديارِك تمنحُك الدفءَ شتاءً

أو تكونَ بائعةَ الثلج

فتغرس قطعَ الثلجِ في طريقِك صيفاً

أو تحلمُ بالصعودِ إلى الشمس

كي تخفيها بضفائرِها

وتهمسَ في أذنيها :

ترفقي به فإنه أبي الذي لم ينجبني وطفلي الذي لم أنجبْه؟

هل سينقبضُ قلبُها حين يصيبُك مكروه

فتشعر بألمِك قبل أن يصيبَك

أو بحزنك قبل أن يتسربَ إليك

أو بالآهِ قبل أن تستقرَ بك

وتتعرفُ عليك ولو كانت عمياء

وكنت بين ألفِ رجل؟ .

هل ستغمضُ عينيها وتسافر إلى وطنِك خيالاً

وتمشط بأقدامِها طرقاتِ حيِّك القديم

وتقرأ فوق الجدرانِ خربشاتِ مراهقتك

وتدخل بيتَك القديم بفرحِ أنثى تهمُّ بدخولِ جنةِ الخُلد

فتصافحُ والدَك وتقبلُ والدتَك

وتدخلُ غرفتَك القديمة تتصفح أركانَها بلهفة ،

هنا جلس يوماً

هنا ذاكر دروسَه

هنا لعبَ ، هنا كبرَ

هنا عشقَ ، هنا بكى ،

أمامَ هذه المرآةِ وقف بكاملِ أناقتِه

وأمامَ هذه النافذةِ وقف بكاملِ جاذبيتِه؟ .

هل ستتمنى أن ترتدي طاقيةَ الإخفاءِ

لتجلسَ إلى جانبِك وأنت تقودُ سيارتَك

وترافقك إلى عملِك صباحاً

فتقرأ كتبَك المهجورة

وتعبثُ بأوراقِك المهملة

وتشاركُك قراءةَ جريدتِك الصباحية

وتحتسي من فنجانِك بقايا قهوتِك؟ .

هل ستبوحُ باسمِك

لامرأةٍ صالحةٍ على فراشِ الموتِ



وتهمس لها بخجل :

إن التقيت اللهَ في السماءِ راضياً عنك

فاطلبي منه هذا الرجلَ لي؟ .

هل ستقرأ القرآنَ بخشوع

فإذا ما انتهت منه سجدتْ لله وهي تردِّد :

اللهُمَّ إني قد وهبتُه ثوابَ كلِّ حرفٍ من حروفِه

فاجعلها في صحيفتِه؟

هل ستفعل هي كلَّ هذا؟

يشهدُ اللهُ أني قد فعلت

أيُّ وداعٍ يليقُ بك

(أيُّ وداعٍ يليقُ بك أنت . . .وأنت العمر الذي

مرني . .ومر !)

أيُّ وداعٍ يليق بحلمٍ جميل كالحلمِ بك أنت؟

أيُّ وداعٍ يليق بأمنيةٍ غاليةٍ كأمنيةِ لقائِك أنت؟

أيُّ وداعٍ يليق بحزنٍ عظيمٍ كحزنِ فقدانِك أنت؟

هل أفتحُ عينيّ بالتدريجِ وأستقبلُ نورَ واقعٍ لا يحتويك؟

هل أصرخ في قلبي صرخةً قوية توقظُه من حلمِه الجميلِ بك؟

هل أُردِّد بيني وبين نفسي : هذا الرجلُ ما عاد يعنيني وما عاد يهمني أمرُه؟

هل أتخيل أن حبّك طائرٌ صغير أعلمُه الطيرانَ من فضاءِ قلبي؟

هل أحول حبّك إلى شمعةٍ دافئةٍ وأتابع تضاريسَ ذوبانِها وانتهائِها في داخلي؟

هل أعامل حبّك معاملة الأسرى فأطلق سراحَه من سجنِ أحلامي وأمنحُه الحريةَ بعيداً عني؟

هل أرسمُ وجهَك فوق شواطئِ النسيانِ وأقف بعيداً أراقب أمواجَ البحرِ وهي تمسح كلَّ أثرٍ لك بي؟

هل أُحولكَ إلى أرضٍ خضراء وأشعل النيرانَ بها وأبني من رمادِ احتراقِك مدناً للنسيان؟

هل أضعُكَ في منتصف جرحي وأرقص وأنا حولَك رقصةَ الطائرِ المذبوح؟

هل أعلّق لك حبالَ المشانقِ وأدعوك لتتأرجحَ معي فوق مشانقِ النهايةِ للمرة الأخيرة؟

هل أرتدي فستانيَ الأبيضَ وأسير معك فوق رفاتِ أحلامي
تزفُّنا إلى الفراقِ زغاريدُ الهزيمة؟

هل أطبع قُبلةَ اعتذارٍ فوق جبينِ حلمي بك وأعلن فشلي المريرَ
فيِ حكايةِ عشقِك؟

هل أجمع أطفالَ المدينةِ حولي وأسرد عليهم حكايةَ البطلِ
المكسورِ والأميرةِ المسحورة؟

هل أفتح دفاترَ خيالي وأطلق أسْرَ أطفالي وأشرح لهم بحنانٍ أن
الحكايةَ انتهت؟

هل أقف فوق أعلى قمةٍ للألمِ وأنزفُك قطرةً قطرة كي أقنعَك
أنك لا تتسربُ مني إلا كالدم؟

هل أسير فوق ترابِ الوهمِ حافيةً باكية وأُنقّب في صحراءِ
عمري عن آبارِ الفرحِ الجافةِ منذ مئاتِ السنين؟



هل أطرق بابَ قارئةِ الفنجان وأبحث عنك في الدوائرِ والخطوطِ وأطلب منها أن تمنحَني نهايةً خرافيةً تليق بحكايةٍ جميلة؟

هل أسهر ألفَ ألفَ عامٍ كي أنجحَ في تجاربِ نسيانك وأخترع مضاداتِ الحنينِ كي لا يعيدَني إليك الحنين؟

هل أعتبر الحياةَ بلا عينيك لعبةً لا بدّ من إتقانها وأوهِمُ نفسي أن نسيانَك مسابقةٌ لا بدّ من الفوز بها؟
هل أستسلم لأرقِ غيابِك وأزورُ الديار ليلاً كمجنونِ ليلى وأنقش على الجدرانِ قصائدي وأُشهدُ الطرقاتِ على ضياعي؟

هل أرمي سنواتِ نضجي لرياحِ العمرِ وأعودُ طفلةً تلعب بالكبريتِ فأحرقُ سهواً كلَّ الذكريات خلفك؟

هل أسهر شتاءَ فراقِك وأجلس على عتبةِ ليلِ انتظارِك كبائعةِ الكبريتِ أحرقُ ثقابَ أيامي يوماً تلوَ يوم؟



هل أزين عنقي بطوقِ الياسمينِ وأعلقُ لك عباراتِ الوداعِ على القمرِ وألوحُ لك من بين السحابِ مودّعةً كأميراتِ الحكايا في الأساطيرِ القديمة؟

هل أضع الحبَ والحلمَ في محرقةٍ متأججة وأدعوك للجلوسِ حول المحرقة ؟

كي لا تغادرَ رائحةُ الحلمِ المحروقِ أنفَ قلبك وكي لا تفارقَ نكهةُ الحبِ الناضجِ لسانَ ذاكرتِك؟

هل أخدعُك بالحكايةِ القديمة وأطهو لك الحجارةَ على النارِ وأطلب منك بخبثٍ ألا تغادرَ سياجَ الحكايةِ إلا بعد نضجِها؟

هل أسافرُ بين حروفِك أُلملمُ بقاياي منها وأجرّدُ قصائدَك مني وأمسح كلَّ أثرٍ بك لجنوني وأحمل جثةَ الحلمِ بيديَّ . .

وأواريه ترابَ الواقعِ وأضع زهوريَ البيضاءَ على قبرِه وأتلو بعض الآيات عليه وأرحلَ مطمئنة؟ .

هل نكتبُ ذكرياتِنا على طائرةٍ ورقيةٍ ونقف معاً وللمرة الأخيرةِ معاً ونطلقُ الطائرةَ في الهواءِ إيذاناً بالنهاية؟

هل أضع لكَ المقصّ فوق وسادةٍ مخمليةٍ حمراءَ اللون وأقف بجانبِك أدعوكَ لقصّ الأشرطةِ الحريرية لافتتاحِ النهايةِ بشكلٍ رسمي؟

هل أُحكم إغلاقَ أبوابِ الحكايةِ خلفنا وأختم قفلَها برحيقِ المستحيل كي لا تقرأَ تفاصيلي بك امرأةٌ أخرى قد تأتي بعدي؟ ولكي لا يقرأَ تفاصيلَك رجلٌ آخَر قد يأتي بعدَك؟
صدقاً أيُّ وداعٍ يليق بك أنت وأيُّ وداعٍ يليق بالعمرِ بأكمله؟ .



دقَّ الجرسُ

(للحكاياتِ أغلبُها جرسٌ إن لم نكن نراه فنحن نسمعُه .)

معكَ تعلمت أن ثمنَ الاحتفاظِ بك باهظٌ وأني لا أملكه

معك تعلمتُ أن الضربةَ التي لا تقتلني ، تكسرني

معك تعلمت ألا شيءَ غيرَ الجمادِ يموت واقفاً

معك تعلمت أن أفتحَ الأبوابَ التي تأتي بالريح وأسأل الريحَ عنك

معك تعلمت أن الطيرانَ بأجنحةِ الريش أمنيةٌ لن تتحققَ يوماً إلا لعاشقٍ مخدوع

معك تعلمت أن الحبَ الحقيقي كاشتعالِ عودِ الكبريت لا يشتعلُ في العمرِ مرةً أخرى

معك تعلمت أن البكاءَ سراً أسرعُ الطرقِ إلى الذبولِ وأن الحزنَ صمتاً أقصرُ الطرقِ إلى الموت

معك تعلمت أن بيضاءَ الثلج لم يقتلها سمُّ التفاحةِ بمقدار ما
قتلها سمُّ الغدر
معك تعلمت أن ليلى التائهةَ في الغابة لم يأكلها ذئبُ الغابةِ
بل أكلها صيادُ الغابة
معك تعلمت أن نسيانَ الحذاءِ الذهبيِّ على درجِ الأميرِ لا يأتي
بالأمير.
معك تعلمت أن أنتظرَ قميصَ البشارة وأن ألتمسَ لامرأةِ العزيز
الأعذار
معك تعلمت أن الحبَ يغفو وينام ، يخرجُ ويعود ، يصغرُ
ويكبر ، لكنه لا يموت
معك تعلمت أن أطفالَ الدفاترِ يولدون ورقاً ويكبرون ورقاً
ويشيخون ورقاً ويموتون في الدفاترِ ورقاً
معك تعلمت أن الجرحَ الذي ينزفُ دمُه يؤلم والجرحُ الذي
يحتفظ بدمِه يقتُل
معك تعلمت أن للموتِ عدةُ وجوه أوضحُها موتُ اللّحدِ وأن
للموتِ عدةُ طرقٍ أصعبها فراقُك
معك تعلمت أن أبي لا يتكرر وأن أخي لا يتكرر وأن وطني لا
يتكرر إلا بك

معك تعلمت أن أتجنّبَ كلّ امرأةٍ ليست من محارمك خشيةَ
أن تكون قد مرّتك قبلي أو استوطنَتك بعدي

معك تعلمت أني كي أنجحَ في عَدّ النجومِ فلا بدّ أن تكون
الجائزةُ قلبَك

معكَ تعلمت أني كي أفوزَ في سباقِ الجري لا بدّ أن ينتهي
السباقُ إليك

معكَ تعلمت أني كي أنجحَ في قطعِ البحر لا بد أن يكون على
الجِهةِ الأُخرى أنت

معك تعلمت أن الخائناتِ في الحبِ أسعدُ قلباً وأن العاهراتِ
في الحكاياتِ أوفرُ حظاً

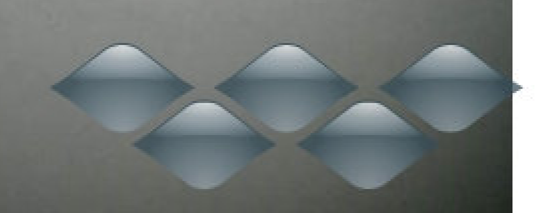
معك تعلمت أن المتدثرةَ بأخلاقِها البيضاء في هذا الزمن ترعبُ
كالمتدثرة بأكفانِها ويفرُّ منها الأحياء .

معك تعلمت أن أحاديثَ الزواجِ والأطفالِ والأمومةِ ودفء
الحلالِ إهدارٌ للكرامةِ لا أكثر .

معك تعلمت أن العمرَ قبلَك محطاتُ انتظار وأن العمرَ معك
محطاتُ انتحار وأن العمرَ بعدك محطاتُ احتضار

معك تعلمت أن ألقنَ سنواتي الشهادتين كلَّ صباح فمنذُ أن
أحببتُك وأنا أشعر أن عمريِ يلفظ أنفاسَه الأخيرة

دقَّ الجرسُ سيدي . . شكراً على الدَرس .



أنواعُ البكاء

(كنتُ أبكيك بدموعٍ وصوت ، ثم أصبحتُ أبكيك بدموع بلا صوت ، ثم أصبحتُ أبكيك بصوتٍ بلا دموع والآن أبكيك بلا دموعٍ وبلا صوت .)

عندما كنتُ أبكيك بدموعٍ وصوت
كنتُ أشعر بأنَ شيئاً ما فيَ داخلي يتمزق
وأن رياحاً قوية من الرعبِ تزلزلُ أركانَ أمني
وأن هذا الكونَ أضيقُ من اتساعِه لي
وأن كلَّ الكائناتِ تسمع صوتَ بُكائي
فكنت أضع يدي على فمي
لكن الصوتَ أقوى من أساورِ يدي المرتعشة
فكان البكاءُ يتسرب كالنحيبِ مني
فأدفنُ وجهي في وسادتي أهديها دمعي وأنيني
فكنت أسمع شيئاً يشبهُ الأنينَ يصدر مني

وأن قوافلَ من الحزنِ تجرّني نحو مدنِ البكاء

فلا أتوقف عن البكاء

وحين تمتزج الدموعُ بالصوت

تمتزج أعماقُنا بالرعب .

هل تعلم؟

كان يخيلُ إليّ وأنا أبكيك بصوت

أن شيئاً ما في داخلي يحدثك ويتحدثُ إليك

كنت أناديك؟

برغم يقيني أن صوتي لا يصلكَ

فدروبُك غيرُ قابلةٍ لتسرّبِ الصوتِ إليك .

وعندما كنت أبكيك بدموعٍ بلا صوت

كنت أشعر بأن الحزنَ أكبرُ من الصوت

وأن الصوتَ لا يعبّر دائماً عن الحزن

فأبحث عن صوتي كي أتنفسَ لكن صوتي يخذلني

ويفرّ كالطائرِ الجريح في براري الحزنِ مني

[illegible]عبني اكتشافي حجم الفراغِ حولي

النهاية

(سمعت وأنا أصرخُ بك : (The End) صوتَ انكسار ما تحت جلدي فأيقنت أنه قد كسرَ لي بفقدانك ضلع)

لا تصرخ امرأةٌ في وجهِ رجلٍ تحبُه بجنون : the end

إلا إذا كانت قد شعرت بتسربِ الماءِ إلى سفينتِها وهي في منتصفِ البحر!

فلماذا ثقبتَ سفينتي وأنا في منتصفِ البحر؟

لماذا سرقتَ زادَ رحلتي وأنت تعلم أن الطريقَ المتبقي أمامي طويلٌ ومهجورٌ وموحش؟

لماذا سكبتَ الماءَ من جرّتي وأنت تعلم أن الصحراءَ أمامي قاحلةٌ موحلة؟

لماذا كسرتَ قدمَ ناقتي وأنت تعلم أن وهنَ فراقِك لم يُبقِ في مفاصلي قوةً للسير؟

لماذا نحرتَ عنقي وأنا في قمةِ فرحةِ أحلامي بك؟

أما وجدتَ طريقةً أرحمَ من النحرِ لإيقاظي منك؟

ما ضرّكَ لو أنني بقيتُ شامخةً على قيدِ الحياة؟

ما ضرّكَ لو أنني أكملتُ بيني وبين نفسي أحلامي بك؟

ما ضرّكَ لو أنني احتفظتُ بالسفينةِ وبالزادِ وبالناقةِ وبالماءِ؟

ما ضرّكَ لو أنني تسترتُ على الطريقِ دون أن تلمحَني كي أراك إياباً وذهاباً؟

ما ضرّكَ لو أنني احتفظت بطولِ قامتي وهيبةِ حضوري وشموخِ أنوثتي بينهم؟

ما ضرّكَ لو أنني ترفعتُ فما مددتُ للحبِ ولا للشوقِ ولا للحنين يداً؟

the end عندما تصرخ بها امرأةٌ في وجهِ رجلٍ تحبه بجنون

فهذا يعني أنها تقفُ فوق أرضٍ مرعبةٍ من الخذلان

يعني أن سلةَ الأحلامِ التي في يمينها سقطت

يعني أن قشةَ الغريقِ لم تكن رفيقةَ الغريقِ في البحر

يعني أن طوقَ النجاة لم يكن بحجمِ الغريق

يعني أن الماء الذي كان في آخرِ الدربِ لم يكن ماءً؟

حين أرسلتها إليك the end

كنت أنتزعُ آخرَ أوردةِ قلبي التي تصلني بالحياة

كنت أسدل الستارَ على مسرحِ العمر وأختمُ حكايةً لن تتكرر

كنت أقتلعُ المسمارَ الأخيرَ من حائطِك كي أتخلصَ من الأعذارِ المكشوفةِ لرؤيتك

كنت أنتف الريشةَ الأخيرة في جناحِ قلبي كي لا أعاودَ تجربةَ الطيرانِ إليك

كنت أضربُ رأسي في جدار الحكايةِ بقوةٍ كي أفقدَ كلّ الذاكرةِ بك

كنت أتدرب على القسوةِ وعلى الفراقِ وعلى العذابِ وعلى البكاءِ وعلى الموت

كنت أحزمُ حقائبي لمغادرةِ طريقٍ كان يهديني فرحةَ حضورِك كلّ صباحٍ وحزنَ رحيلِك كلّ مساء

كنت أضع على ملامحِك قطراتِ الصبرِ على قلبي كي أفطمَه عن رؤيتِك

كنت أبذر الشوكَ على دربِك كي أتوقفَ عن السيرِ حافيةَ القلبِ باتجاهِك

كنت أتدربُ على الجوعِ والعطشِ بعد أن كان وجهُك وجبتي

المفضلة وصوتُك الماءُ الذي لا أظمأ بعدَه أبداً

كنت أجرّد هاتفي من أهميته لديّ فأمسح كلّ صادرٍ إليك

وكل واردٍ منك !

عندما صرختُ بك : the end

كنت أبترُك بلا تخدير

كنت أنزفُك بلا دم

كنت أجمعُ بقايا قلب

بقايا أمانٍ ، بقايا كرامةٍ ، بقايا نومٍ ، بقايا صحةٍ ، بقايا راحةِ بال ،

بقايا شهيةٍ للطعام ، بقايا أشياءَ كثيرةٍ فقدتها يوم كسبتك !

عندما صرخت بك : the end

كنت أرتجف برداً كقطةٍ مبللة بالمطر في غابةٍ موحشة

كنت أتألم كطفلةٍ منزوعة الجلد تقف في منتصف البحر!

كانت أصابعُ يديّ كقطع متصلبةٍ من الثلج

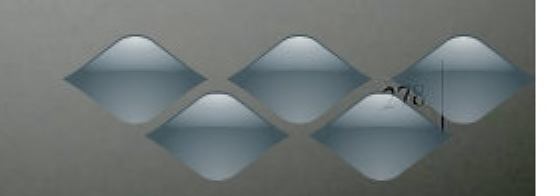
كانت مقاومتي للبكاء تعجزُني عن الحركة

كنت أحاول أن أحتضنَ نفسي بحثاً عن حضنِ أمي

كنت أبحث عن دفء لا يتوفر إلا في حضنِ جدتي
لم تكن جدتي بجانبي وأنا أصرخ بك : the end
لهذا نال البردُ مني كثيراً كما نال ترابُ الأرضِ من جدتي .

ترى أتحتاجني جدتي تحتَ الأرض كما أحتاجُها الآن فوق الأرض؟
أ تشعر جدتي الآن بحجمِ رعبي من ذئبِ الفراقِ الجائع الذي اعترضَ طريقي كي يقتطعَك مني؟
أ تحاول جدتي الآن أن تفتحَ لي ذراعيها تحتَ التراب كي تحتوي حزني فيخذلها ضيقُ اللّحد؟
أ نادَتني جدتي بأعلى صوتِها وأنا أصرخ بك : the end كي تمنحَني أمانَ وجودِها
وحالَ ضجيجُ انكساري عن وصولِ صوتِها؟

فأنا سمعت وأنا أصرخُ بك : the end
صوتَ انكسارِ ما تحت جلدي
فأيقنتُ أنه قد كسرَ لي برحيلِك ضلع .



كنتَ أهمّ ضلعٍ بي!

كنت ضلعَ استقامتي الذي سأحتاج الكثيرَ من الوقتِ كي أعاودَ الوقوف بعدَه باستقامة !

كنتَ كهيبةِ جبيني التي أخبروني منذ الصغر أني حين أرِدُ الأماكنَ تقف قاماتُ الرجال هيبةً لي !

فكم سأحتاج من الوقتِ كي أمسحَ انطفاءةَ الحزن التي استقرت على جبيني بعدَك؟

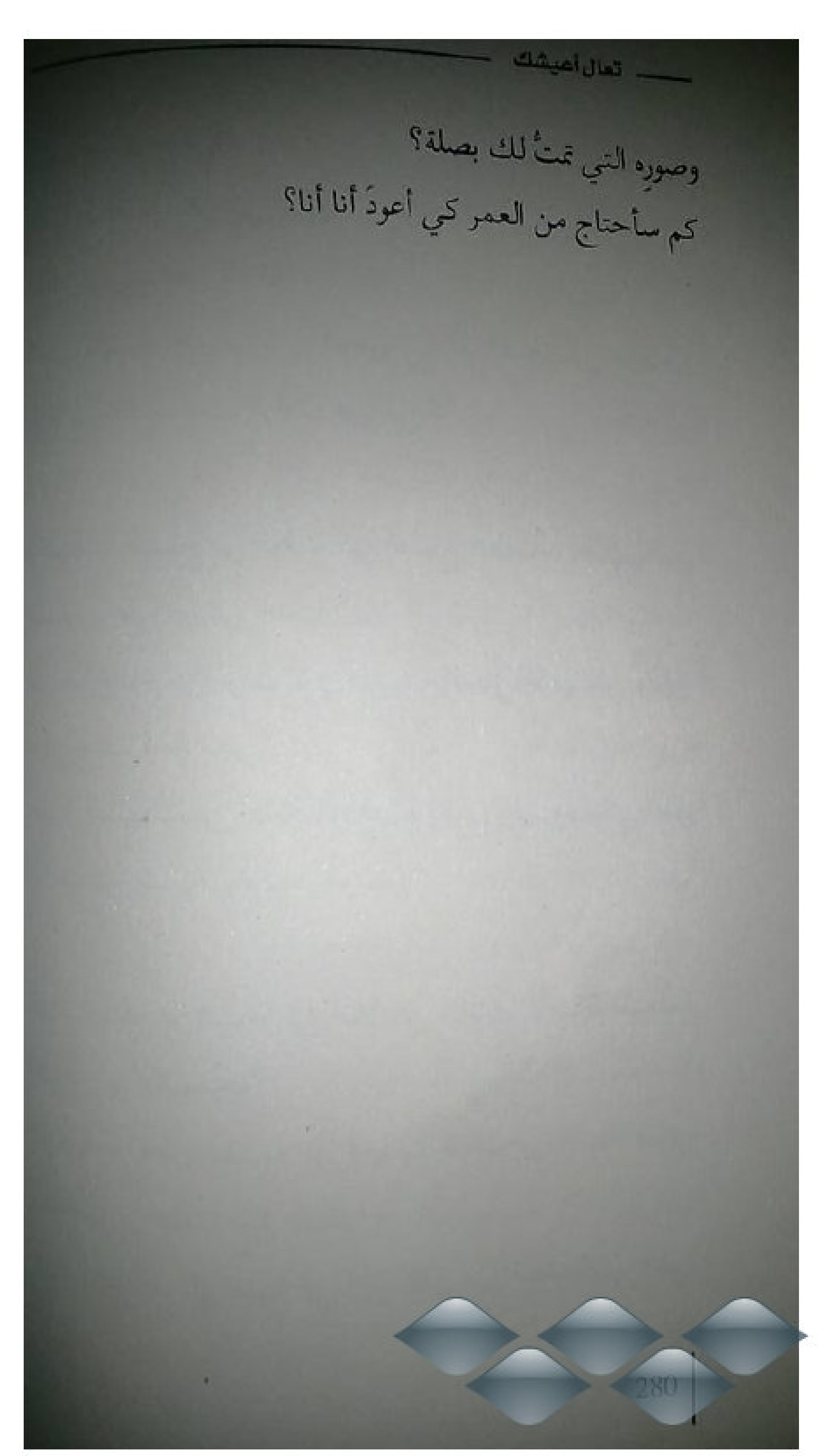
كم سأحتاج من الوقت كي أستردَّ عافيتي وشهيتي وبريقَ عينيَّ ونضارةَ ملامحي؟

كم سأستهلك من الصحةِ والدموعِ والنومِ والهروب كي أتقنَ أمامَك دورَ النسيانِ والكراهيةِ والنفور؟

كم سأحتاج من القوة؟ كي أملأ كلّ خاناتِ الأسئلةِ المتعلقةِ بك بإجاباتٍ صحيحة؟

كم سأحتاج من القسوةِ كي أحذفَ رقمَك من قائمةِ هاتفي وأتخلصَ من عادةِ انتظار واردِك؟

كم سأحتاج من الوحشية كي أجرّدَ قلبي من محفوظات هاتفي



وصورِه التي تمتُّ لك بصلة؟

كم سأحتاج من العمر كي أعودَ أنا أنا؟

مَخرج

إذا وصلتَ إلى هذه الورقة ولم تجد نفسَك فيِ الأوراقِ السابقة

أكونُ أنا قد خسرتُ قارئاً عزيزاً

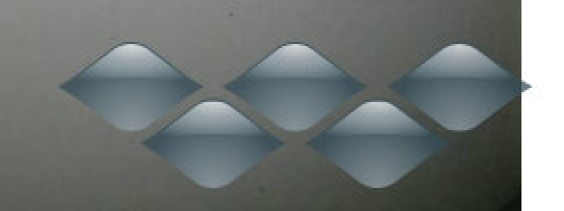
وتكون أنت قد خسرتَ وقتاً ثميناً

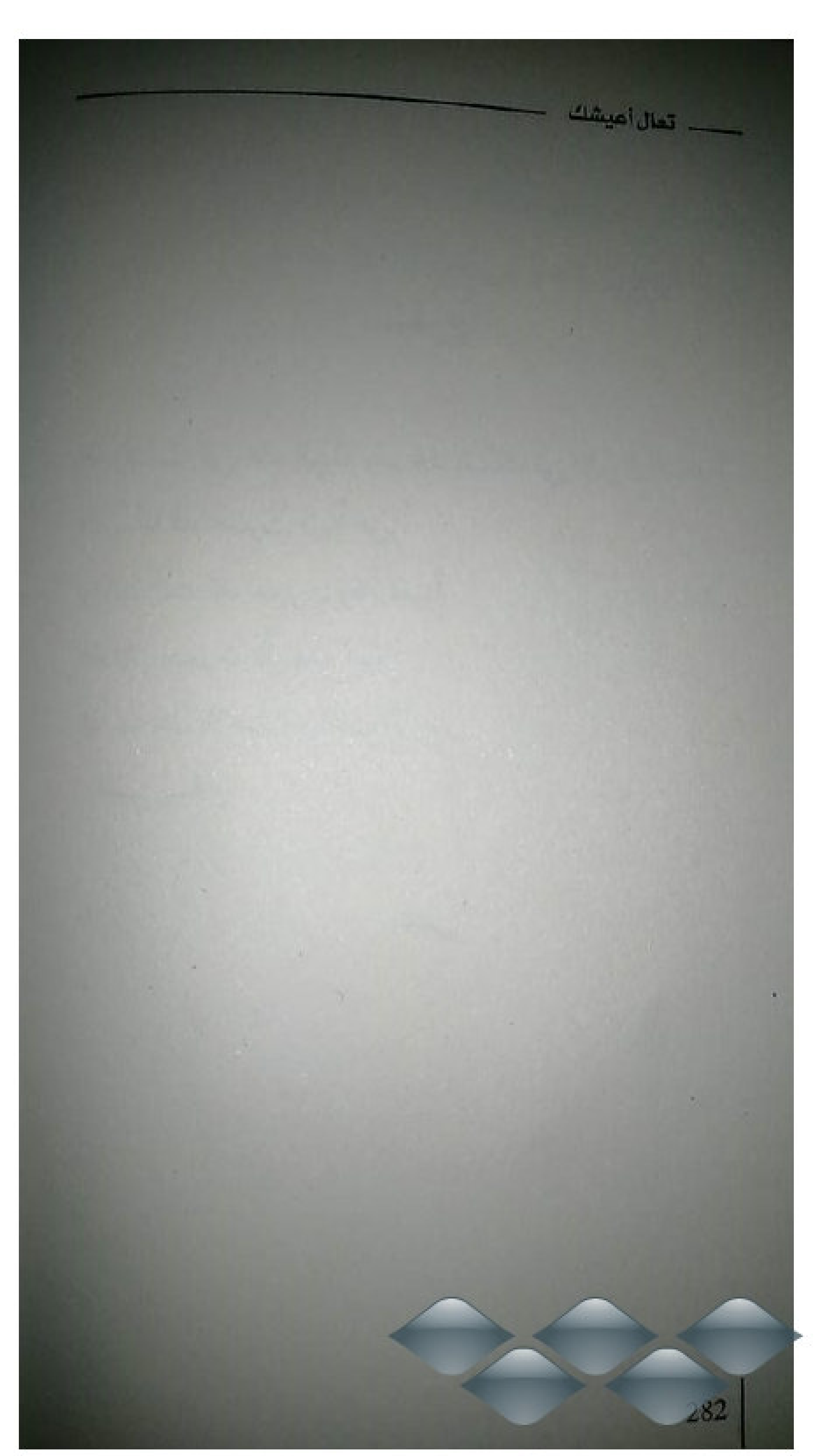
فكلانا خسر شيئاً يهمه أمرُه

إذاً لنتبادلَ الاعتذارَ وباقاتِ الأزهار

ونمضي بسلام .

انتهى





تعال أعيشك
282

الفهرس


تعال أعيشك
هذه أنا، وهذا كتابي الأول،
لا أرغبُ أنْ يُزخرفَني أحد..
ليقدمَني إلى أصدقائي الذين كبروا معي في
القراءة لي
كما كبرتُ أنا في الكتابة إليهم
فكلانا منح الآخرَ شيئاً مُهماً لديه
منحتُهم حروفي ومنحوني وقتَهم
فإذا كنتَ ممَن كبروا معي،
فأنتَ في غنى عن ثرثرةِ حروفٍ
تقدمُني إليكَ وتعرّفكَ بي
وانْ كُنتَ قارئاً جديداً فهذا الكتابُ
بينَ يديكَ وهو خيرُ مُقدمٍ ومُعرّفٍ بي.
شهرزاد